عندما يصبح الانتقام
عدالة
الجزء الأول
لمحة
في هذه الرواية :
يشتعل مجدداً ذاك الصراع الأزلي بين الخير والشر , ويظهر جلياً ذلك الوجه المظلم من الروح البشرية , جرائم غامضة .. لا أدلة تشير الى الفاعل , ولا الشهود يبقون أحياء , في زاوية مظلمة من تلك المدينة البعيدة , بدأ كل شيء فجأةً , وذلك الشبح الغامض .. أطلق نحو هذا العالم لينتقم , وأمّا عن أعظم عاطفة بشرية في الكون " الحقد " فقد تجسدت في أعمق أشكالها , في هذه الرواية الملحمية
الخير .. ربما لم ينتصر
بقلم : ضياء الفاخوري

عندما يصبح الانتقام عدالة

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2017/9/4751)

بقلم : ضياء الفاخوري

لمحة

في هذه الرواية :

يشتعل مجدداً ذاك الصراع الأزلي بين الخير والشر، ويظهر جلياً ذلك الوجه المظلم من الروح البشرية ، جرائم غامضة .. لا أدلة تشير الى الفاعل ، ولا الشهود يبقون أحياء ، في زاوية مظلمة من تلك المدينة البعيدة ، بدأ كل شيء فجأةً ، وذلك الشبح الغامض .. أطلق نحو هذا العالم لينتقم ،وأمّا عن أعظم عاطفة بشريةفي الكون"الحقد"فقد تجسدت في أعمق أشكالها ، في هذه الرواية الملحميةالخير ..ربما لم ينتصر.

****

- أبعد ذاك الشيء عن رأسي .. أرجوك .

= ولم لم تبعده عندما كان بين يديك ؟ أجبني ؟

- عن ماذا تتحدث ، انا لم أفعل شيئاً ..

= اعتذر .. نسيت أنك أحد أولئك الذئاب ، وهل ستذكر الذئاب ما أكلت عندما تجوع .. ايها الوغد ، سأقتلك .. سأقتلك .

صوت طلقات المسدس يصدح في أجواء ذاك الركن المظلم من المدينة ، وجثة هامدة ملطخة بالدماء هي كل ما عثر عليه ، بالاضافة الى رسالة مكتوبة بخط يد مرتعشة .. سأنتقم !

تلك الكلمات كانت عنواناً لكل الصحف المحلية في اليوم التالي ، جريمة في منتصف الظلام راح ضحيتها أحد افراد أسرة كبيرة ومعروفة في تلك المدينة ، لم يترك القاتل أي دليل خلفه ، حتى ظروف الرصاصات ..
اختفت من المكان ، وبالرغم من اندفاع العامة نحو مصدر الصوت إلّا أن ما من أحد قد رأى الفاعل ، وكل ما كان موجوداً هو رسالة مكتوبة بخط اليد : " سأنتقم ، وسيدفع الجميع الثمن " .
تدخل قسم المباحث الجنائية وأرسل المحقق الخبير (فهمي) الى المكان

، وقد اصدرت الشرطة بياناً تطمئن فيه سكان المدينة بأن الوضع تحت السيطرة وتعهدت بالامساك بالمجرم سريعاً، كما قامت بإرسال فرقة بحث لمنزل الضحية (أحمد)للبحث في حاجياته واخذ اقوال ذويه ، ولكن بلا فائدة فالجميع أكّد أنّ الضحية كان طبيعياً ولم تظهر عليه أي علامات للرّيبة ، ولم يعثر على أي أدلة بين حاجياته ايضاً .

- كلنا ثقة بك يا فهمي ، أعرفك معرفة جيدة ، وأنا واثق من ذكائك ، أرجو أن تنجح في مهمتك في أسرع وقت ، (رئيس الشرطة السيد عماد يخاطب صديقه المحقق فهمي) .

- شكرا على ثقتكسيدي ، لن يفلت المجرم مني كالعادة ، لكن اسمح لي أن اطلّع على مسرح الجريمة اولاً (المحقق فهمي) .

- (السيد عماد) : لك ذلك ، اركب معي لأوصلك رجاءً .

وفي طريقهماً للمكان تبادلا الشكوك حول أن تكون هذه الجريمة عملية سرقة عادية مثلاً ، أو لربما كانت تصفية حسابات شخصية ، ومثل هذه القضايا مألوفة جداً في المدينة ، ولكن ما إن وصلا الى المكان سرعان ما غادرت تلك الافتراضات مخيلتهما ، فشكل الجثة وحده كان كافياً لدحضها جميعها .
-لا أصدق .. هذه ليست طريقة قتل بشرية .. مستحيل !(رئيس الشرطة عماد).

كانت الرصاصات قد أصابت كل جزء في جسد الضحية تقريباً، كانت تتجاوزالعشر رصاصات .. ثلاث منها قد أصابت عمق القلب ، احداها في أعلى الرأس ، والاخريات قد توزعن في جميع انحاء الجسد ، إضافة الى كسور و خدوش و جروح بالغة العمق.. غطت وجه و جسد الضحية بالكامل ، الأغرب من هذا كله أن جمعاً غفيراً من العامة قد سمعوا أصوات الرصاص تنطلق من هذا المكان في تلك الساعة المتأخرة من الليل ، لكن بالرغم من أنهم قد أسرعوا الى مصدر الصوت ، إلّا أن ما من أحد شاهد القاتل ولا لمح ظله حتى، كان موقع الحادثة عبارة عن

ممر ضيق ومظلم بين بنايتين طويلتينفي منتصف المدينة تقريباً ، تحيط به الشوارع المزدحمة من كلتا جهتيه .

وقف المحقق فهمي خائفاً مرتعشاً لأول مرة في حياته التي قضى منها ما يتجاوز الخمسة عشر عاماً في التحقيقات الجنائية ، وأكّد بأن الشرطة هذه المرة تتعامل مع قاتل قادم من عمق المجهول ، ومن أقصى درجات الحقد ، قادم ليرعب المدينة بأكملها ، صفة انسان قد لا تنطبق عليه أيضاً .. ولا أحد يدري ما المقصود بذلك .

- هل فقد شيء من حاجيات الضحية ؟ (المحقق فهمي)

- فقد جهاز الهاتف ، فقط ولا شيءآخر سيدي (احد عناصر التحقيق).

- ترى ما الذي كان يحويه الهاتف ليأخذه ذاك المجرم ؟ هل وجدتم أي أثرٍ لبصماتٍ او آثر اقدامٍ او أي شيء ؟ (المحقق فهمي)

- للأسف .. لا سيدي ، فقط تلك الورقة المكتوبة بخط اليد ، هي دليلنا الوحيد والتي اعتقد بأن كاتبها والقاتل شخص واحد (احد عناصر التحقيق).

استلم المحقق الورقة وأخذ يقرأ العبارة المكتوبة " سأنتقم ، وسيدفع الجميع الثمن " ، كان أبرز ما يميز ذاك الخط هو تلك الرعشة فيه ،"تلك ليست خوفاً .. أبداً ، نحن نتعامل مع شيء أخطر بكثير "(المحقق فهمي مرتبكا !)

- ماذا هناك أيها المحقق ؟ هل ستتراجع عن هذه المهمة الموكلة اليك ؟ هل أنت خائف ؟ (السيد عماد)

- لا أبداً سيدي .. بل انا مصّر على حل هذا اللغز ،لدي رغبة كبيرة بالامساك بهذا المجرمالذكي . (المحقق فهمي)

- (السيد عماد) : هل يبدو مجرمنا ذكياً ؟

- (المحقق فهمي) : من يستطيع ارتكاب جريمة كهذه والإفلات من جميع السكان و الإختفاء بتلك البساطة دون ترك أي دليل خلفه ، هذا الشخص ذكي فعلاً .

بعدها بلحظات التقى المحقق و رئيس الشرطة بالسيد (منير) والذي يعتبر رئيس العائلةفي تلك المدينة ، العائلة نفسها التي ينتمي اليها الضحية (احمد)، وأعلن للشرطة بأنه سيعقد بيتا للعزاء في ديوان العائلة .. وطلب اذنهم لدفن الميت .

- (السيد عماد) : آسف بشأن ابنكم سيدي ، لكنني أعدك بأن نصل للقاتل بأسرع وقت ..(قاطعه السيد منير)

- (السيد منير) : أتمنى ان تصلوا اليه بسرعة،العائلة باكملها تتوعد ذاك المجرم بالقتل، ويستحسنأن لا يثور غضبهم ، أنت تعرفنا حق المعرفة ايها الشرطي.

- (السيد عماد) : اقدر موقفك سيد منير،سنقوم بعملنا على اكمل وجه.

- (السيد منير) متى ستدفنون ابننا ؟ فغداً اول ايام العزاء ، والذي سيكون في ديوان العائلة.

- (السيد عماد) : سيدفن غداً سيدي ، حالما يصدر تقرير الطب الشرعي سندفن الجثة فوراً .

- (السيد منير) : عندما تمسكون الفاعل ، سأحرقه بيدي هاتين ، هل تفهم ذلك ايها الشرطي ؟

- (السيد عماد) : خفف من غضبك سيدي ، أرجو أن تهدئ و تغادر المكان الآن وتترك الأمر لرجال الشرطة و للمحقق فهمي ليتولى الامر ، فهو القادر على الامساك بالمجرم .

وغادر الجميع وتم اخلاء الجثة ولا زال التفكير يسيطر على المحقق فهمي المصدوم بما رأه في ذاك اليوم " ذاك شيء لم أعهده يا عمادمن تراه فعل ذلك ؟ " (المحقق فهمي)

- (السيد عماد) : لن اخفي بأنّي مصدوم مما رأيته ايضاً.. ولا اعرف شخصا مجنونا لهذا الحد ليستطيع فعل ذلك .

- (المحقق فهمي) : أظنني أريد التحدث الى السيد منير مرة اخرى ، او لذوي المتوفى ، هل كان له اعداء ؟

- (السيد عماد ضاحكا) : كل من في هذه المدينة يكرهون هذه العائلة ايها المحقق .

- (المحقق فهمي) : سمعت عن هذا كثيراً ، ولكنني لا أعلم حتى الآن سبب هذه الكراهية ؟

- (السيد عماد) : أحقاً لا تعلم ، لا بأس اذا سأخبرك بنفسي ، أفراد هذه العائلة يسيطرون على المدينة بسبب كثرة عددهم ومناصب بعضهم الرفيعة ، معروفون بسلبهم حقوق الضعفاء والمساكين .. ونحن لم نتمكن في معظم الاحيان من ايقافهم عندما يرتكبون فعلاً مخالفاً للقانون ، مغترون بعددهم ولا يتحركون إلّا بجماعات كالكلاب الضالة ، يبحوث عن أي وسيلة للمضايقات والمشاجرات التي انتهت أحيانا بحرق المنازل و وتدمير المحلات و حتى الاختطاف والقتل ، هناك الكثير من القصص القديمة عنهم وعن أفعالهم الفظيعة، ولا أعتقد أن أحداً من سكان هذه المدينة لم يتعرض للظلم على أيديهم ، هل تكفيك هذه المعلومات ؟

- (المحقق) : كافية يا حضرة الرئيس .. الآن انا اتوقع أن يتصل القاتل بأحد افراد تلك العائلة، و لهذا السبب أخذ هاتف الضحية.

- (السيد عماد) : قد يكون كلامك صحيحاً ايها المحقق ، لكني لا استطيع الانتظار حتى يحدث ذلك ، ستبدء عناصر الشرطة بنصب الحواجز الأمنية والتفتيش في كل انحاء المدينة منذ الآن، هذا إجراء احترازي مناسب في مثل هذه الظروف ، فأنا أخشى أن تقع المزيد من الجرائم ويخرج الوضع عن السيطرة.

- (المحقق فهمي) : أوافقك الرأي ، أتمنى أن ينتهي كل شيء بسرعة .

- (السيد عماد) : أرجو ذلك ايضاً .

أوصل السيد عماد المحقق فهمي الى مركز الشرطة وهناك افترقا وكلُ ذهب الى منزله ، كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ليلاً وكان منزل المحقق قريبا من مركز الشرطة لذا قرر الذهاب اليه ماشياً ، وفي الطريق لم تغب عن بالهتلك الجريمة البشعة ، ومنظر تلك الجثة المروع ، ولا تلك الرسالة المكتوبة ، " عجباً .. لأول مرة في حياتي لا أملك أي افتراضات ، ولا أعرف ماذا سأفعل الآن .. ليس هناك أي دليل ابدء منه ، وكل من في هذه المدينة يخفون كرههم لهذه العائلة ، حتى الورقة المكتوبة تلك ، ذاك الخط يستحيل تقليده ولن يتمكن خبير الخطوط من معرفة القاتل من خلاله ،كل هذا الجمع من العامة و استطاع الفاعل الهروب دون أن يلمحه أحد .. كيف ، وأمّا شكل الجثة .. وكأنها تعرضت للتقطيع بأنياب مفترس جائع .. يا إلهي".

وصل المحقق الى المبنى الذي يقطنه وقد كان يسكن في الطابق العلوي منه ، كالعادة القى التحية على حارس العمارة و صعد الى شقته ومن ثم راح في سبات عميق.

وفي صباح اليوم التالي التقى مجدداً المحقق فهمي بصديقه السيد عماد رئيس الشرطة :

- (المحقق فهمي) : أعتقد أن لدي فكرة لنبدء منها البحث .

- (السيد عماد) : وانا ايضاً لدي فكرة ،أخبرني بفكرتك أولاً .

- (المحقق فهمي) : شركة الاتصالات ، أريد سجلاً مفصلا بكل المكالمات الأخيرة للضحية ، لم يسرق ذاك القاتل الهاتف عبثاً انا متأكد من ذلك ، أخبرني بما فكرت أنت ؟

- (السيد عماد) :عبقري كعادتك ، انا فكرت بمراجعة مكان الجريمة ، فأفراد الشرطة قد أبلغوني بالأمس بوجود كاميرات قريبة من مداخل ذلك الزقاق الضيّق ، لعلها صورت القاتل أثناء هروبه أو أثناء دخوله الى ذلك الركن بين المباني ، و شيء آخر .. وردنا اتصال قبل قليل من شخص يقول بأنه صديق الضحية المقرب، اسمه (مراد) وقد طلب مني أن

أذهب اليه برفقتك بأسرع وقت وقال أن لديه معلومات قد تفيدنا في الامساك بالمجرم، لا اعتقد أننا سنستطيع القيام بالمهمات الثلاثة معاً لذلك فقد أجلت اللقاء بمراد ليوم غد .

- (المحقق) : عظيم جداً ، لنبدء .

وبدأ التنفيذ فوراً ، وبعد التواصل مع شركة الاتصالات والابلاغ عن اسم الشخص وطلب سجل المكالمات والرسائل ، انطلق المحقق فهمي مع السيد عماد الى مكان الحدث أولاً ، ولحسن الحظ .. كانتعدة محالٍ تجاريةٍ قريبة تمتلك كاميرات موجهة الى مداخل ذلك الزقاق بين المباني تماماً مكان الجريمة ، ولكن عند فحصها تبين انها جميعها قد تعطلت فاليوم السابق للحادثة ، جميعها تصور مشهداً أسوداً بلا ملامح نتيجة لطلاء قد غطى عدساتها ، وهذا كان كل شيء ، كانت خيبة أمل كبيرة للرجلين ، لكن اتصال مدير شركة الاتصالات أعطاهما الأمل من جديد ، فقد تم تجهيز سجل المكالمات ويمكنهما الذهاب لاستلامه الآن ، فانطلقا فوراً الى الشركة واستلما التقرير، وهنا كانت المفاجئة ، وظهر امام عينيهما الدليل الاول في القضية والذي تأمّلا أن يقودهما لحل لغز هذه الجريمة الصعبة ، تم ايجاد رقم مستخدمه غير معروف.. كان يتصل بالضحية كل ليلة على مدار الشهر السابق و تشير السجلات أن الضحية وصاحب الرقم يعرفان بعضهما جيداً فقد كانا يتحدثان لاوقات طويلة كانت تصل الى عدة ساعات متواصلة ، ومن ثم قبل الحادثة ببضع دقائق وصل الى هاتف الضحية رسالة من ذاك الرقم المجهول تقول (لاقني بعد ربع ساعة في المكان الذي اتفقنا عليه) ، نظر كلّن من المحقق فهمي والسيد عماد الى بعضهما

- (السيد عماد) : هل أمسكنا به ؟

- (المحقق فهمي) : يبدو أني تسرعت في الحكم عليه بالذكاء .

وطلب المحقق من المدير أن يحضر كل المعلومات المتوفرة لديه عن صاحب هذا الرقم

- (المدير) : سبقتكما الى هذه الخطوة ايها الشرطيان ، لكن مع الأسف هذا الرقم لم يسجل بأسم أحدبعد ، ولا نملك أيّة معلومات عن صاحبه، لكن لم لا تجربان الاتصال به ؟ هذا الرقم لا يزال نشطاً وقد يجيب صاحبه و تتمكنان من الوصول اليه ، لسوء الحظ فالشركة لا تملك نظاماً لتحديد موقع المتصل، اعتذر منكما على ذلك .

- (السيد عماد) : لا داعي للاعتذار سيدي ، سنقوم بالاتصال ولكن ليس هنا بل في قسم الشرطة .. حيث يمكن للفريق الفني تحديد موقع الاتصال لعلنا نصل الى صاحب هذا الرقم ، نشكرك جداً على جهودك .

وغادر المحقق و معه السيد عماد مباشرة نحو مركز الشرطة مرة أخرى وهذه المرة كانت الابتسامة تعلو وجوههما ، فقد حصلا على أول دليل لهما في القضية ، بلا شك هذا الرقم يعود للقاتل الذي حير عقل المحقق الخبير فهمي ، ولكن بعد وصول الرجلان الى قسم الشرطة واستدعاء الفرقة الفنية ، تم الاتصال بذلك الرقم ..ولكن الخيبة خيمت مجدداً على الحضور عندما تلقو الرد " الهاتف المطلوب خارج الخدمة حالياً " .

- (السيد عماد) : كان علينا ألّا نعلق آمآلاً كبيرة على هذه الخطوة الحمقاء ، مؤكد أن المجرم لن يدع هذا الدليل يوصلنا اليه بسهولة .

-(المحقق فهمي) :يا له من مجرم، لا أصدق لم يترك خلفه أي شيء أبداً هذا مستحيل هذا ليس بشرا هذا شبح .. نعم انه كذلك.

- (رئيس الشرطة) : إهدئ يا فهمي، ما زلنا في البداية ، لا بد أن نصل اليه عاجلاً أم آجلاً ، لكن لم يبقى وقت للمزيد من العمل ، الساعة أصبحت التاسعة مساءاً وحان وقت المغادرة ، سنتابع غداً ونجد طريقة للأمساك به.

- (المحقق فهمي) : الوقت ليس في صالحنا، أرجو أن نجد غداً ما يقودنا اليه.

وافترق الصديقان المحقق فهمي والسيد عماد وكلّن ذهب الى منزله ،وكالعادة يمشي المحقق فهمي تحت ضوء القمر نحو منزله وهو غارق

في التفكير " كيف لهذا الفاعل أن يهرب دون ترك أيّأثر ، واذا كان صاحب الرقم المجهول ذاك هو الفاعل نفسه .. فكيف يتحدث مع الضحية لكل تلك الساعات الطويلة ، لابد أنه يعرفه معرفة وثيقة .. ولكن لماذا ؟ ، وما قصة مراد صديق الضحية ، وهل سيخبر بأي شيء قد يقود الى الحقيقة ، أم أنه كان مجرد شخص يدّعي الشجاعة ويريد الانتقام لصديقه فقط " .

وصل المحقق فهمي الى مكان سكنه وقد كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والنصف ليلا :

- (حارس العمارة مرتبكا) : سيد فهمي ، اهلا بك .. لقد تعطل المصعد سيدي وأخشى انك ستّطر لاستخدام الدرج .

- (المحقق فهمي) : هذا ما كان ينقصني.. لديّ الكثير من المشاكل العالقة في رأسي الان ،أرجو أن تعمل على اصلاحه سريعاً ، لا مانع في استخدام الدرج هذه المرة .

- (الحارس) : اسف سيدي تفضل .

وفتح الحارس الباب تاركاً المحقق فهمي يدخل ومن ثم اغلقه وعاد الى عمله بينما استمر المحقق فهمي في التفكير في الأسئلة الكثيرة والملحة التي تجول في خاطره حتى وصل الى باب شقته وفتحه ومن ثم بادر بالدخول ، اغلق الباب خلفه وضغط زر الاضاءة ، لكنه لم يعمل ..

" يا إلهي الكهرباء مقطوعة ايضا ! ما هذا اليوم " ..ولم يكد ينهي جملته حتى سمع صوت تلقيم مسدس خلف رأسه مباشرةً ..

- اهلا بك ايها المحقق .

- (المحقق فهمي) : من انت ؟ وكيف دخلت الى هنا ؟ هيا أجبني.

- لست في وضع يسمح لك بطرح الاسئلة أواصدار الأوامر ، الا تشعر بذلك ؟ ، اياك والحركة ..

- لا شك في انك القاتل نفسه .. هل انا محق ؟

- ذكي ، و..

- وماذا ؟ هيا تابع كلامك ..

- أحمل رسالة إليك .. انا أحذرك ، لا تحاول الاستمرار في تلك القضية الخاسرة ، سأقتلهم جميعاً وكل من يقف الى جانبهم او يساعدهم .. أتفهم ذلك ؟

وهنا استدار المحقق سريعاً لناحية ذاك المجهول ، وكانت الصدمة ..

سقط المحقق ارضاً وهو يرتجف خوفا مما يراه ..

- يا إلهي .. ما أنت ..(المحقق فهمي)

ثم فقد المحقق فهمي الوعي ...

****

- (السيد عماد) : لقد تأخر فهمي اليوم على غير عادته ، ولا يجيب على اتصالاتي ايضاً ، لدي شعور سيء حيال ذلك وأخشى أن يكون قد أصابه مكروه ، سأذهب لتفقده في منزله.

وانطلق السيد عماد نحو مكان سكن المحقق فهمي مسرعاً وما إن وصل حتى ترجّل من السيارة وعلى مدخل المبنى وجد الحارس (عبد الرحمن) جالساً فبادره بسؤال عن المحقق فهمي لكن الحارس أكّد أنَّه لم يره منذ ليلة الأمس ، شعر السيد عماد بقلق حقيقي في تلك اللحظة وقرر الصعود نحو الطابق الأخير حيث توجد شقة صديقه ، وما أن وصل اليها حتى

وجد بابها مفتوحاً .. فدفعه ودخل ينادي " فهمي .. أين أنت ؟ "
وسرعان ما وجد المحقق فهمي ملقاً على الأرض وغائباً عن الوعي .

- (السيد عماد) : يا الهي .. فهمي هل أنت بخير ؟

- (المحقق فهمي) : أين أنا ؟

- (السيد عماد) : أنت في بيتك ، ما الذي جرى لك ؟

- (المحقق فهمي) : في بيتي ! أجل لقد تذكرت .. يا الهي .. عماد انه خطير جداً ، ذلك الشيء ليس بشرياً .. انا أستقيل .. لا استطيع الوقوف في وجهه ، هذه القضية أصبحت خاسرة بلا شك .

- (السيد عماد مصدوماً) : ماذا هناك يا فهمي ما الذي جرى لك فجأة ؟

- (المحقق فهمي) : انه المجرم .. لقد وصل اليّ .. لقد قابلته.

- (السيد عماد) : هل قابلته حقاً ؟ هل تعرفت اليه ؟ هيا اخبرني .

- (المحقق فهمي) : المجرم .. لن ترغب في رؤيته يا عماد ابداً .

- (السيد عماد) : هل ارعبك لهذا الحد ؟ ، لم أراك في حياتي كلها مرعوباً بهذا الشكل يا فهمي .

- (المحقق فهمي) : عيناه ، كان الظلام حالكاً و لم ارى إلّا عيناه .. انا لم أرى مثل تلك العيون ابداً .

- (السيد عماد مستهزئاً) : وما بها عيونه ؟

- (المحقق فهمي) : تلك العيون ... حمراء ، تلك العيون تحمل الغضب ، الحقد والكراهية ، ما ان شاهدها حتى غبت عن الوعي فوراً .. ذاك ليس مجرماً عادياً ابداً .. انه شيطان .

اخرج السيد عماد الجهاز اللاسلكي من جيبه وأ صدر أمراً بالتوجه لشقة المحقق فهمي و تفتيشها تفتيشاً دقيقاً ورفع البصمات .

- (السيد عماد) :حسناً يا فهمي ، المهم الآن أنك بخير ، تعال معي سنقدم واجب التعازي الى السيد منير وعائلته فقد تم دفن جثة الضحية في الأمس، وعلى الطريق ستحدثني بما حصل.

كان ذاك اليوم احد الايام الشتوية الباردة ، السماء تمطر والرياح تحرك الأشجار بعنف ، الشمس تختفي خلف الغيوم و الناس في بيوتهم قد اغلقوا ابوابهم ، كل شيء هادئ في شوارع المدينة ، وعلى الطريق راح يتحدث المحقق والرئيس ، وقد اخبره المحقق بما حصل بالامس :

- (السيد عماد) : ولكن كيف دخل ذاك المجرم الى شقتك يا فهمي ، اين كان حارس العمارة ؟

- (المحقق فهمي) : حقا إن سؤالك في مكانه ، كيف لم يخطر في بالي؟ نسيت أن اسأل الحارس ، ما رأيك أن نعود اليه لنستجوبه فوراً ؟

- (السيد عماد) : هل ستكمل التحقيق في القضية يا فهمي ؟

- (المحقق مرتعشاً) : في الحقيقة لا اعلم ، لكن سأقرر هذا بعد سؤال الحارس ، هيا بنا .

حوّل السيد عماد اتجاهه عائداً الى العمارةحيث يقطن المحقق فهمي مجدداً ووصل الرجلان الى هناك سريعاً فبادر المحقق بالجري مسرعاً نحو حارس العمارة والذيكان في غرفته ..

- (المحقق فهمي) : افتح الباب ، هيا ايها المهمل ، كدت أقتل بسببك هيا افتح هذا الباب ..

وأخذ المحقق يضرب الباب بقوة حتى كاد أن يكسره ، ثم فتح الباب :

- (الحارس) : ماذا هناك ؟ ما بك سيد فهمي ؟

وأمسك المحقق فهمي بعنق الحارس حتى كاد يخنقه ..

- (المحقق فهمي) : كيف يدخل العمارة شخص غريب بدون أن تلاحظ؟ أين كنت ليلة البارحة أيها الغبي ؟

أسرع السيد عماد الى المحقق والحارس و فصل بينهما ثم اخذهما الى سيارته ليجلسوا ويتحدثوا سوياً ..

- (السيد عماد) : أين كنت أيها الحارس بالأمس ؟ كيف يدخل العمارة غريب ولم تلحظه وتوقفه ؟

- (الحارس) : سيدي أنا متأكد أن ما من أحد دخل العمارة ، أؤكد ذلك سيدي .

- (المحقق فهمي) : ومن ذاك الذي هاجمني في شقتي بالأمس ايها الذكي ، انا أسكن في الطابق الأعلى من العمارة ، حتى نوافذ شقتي تحيط بها قضبان حديدية ، ولا مكان للدخول إلّا من الباب ، حتى الباب كان مغلقاً بشكل عادي و ليس عليه علامات اقتحام ، فما تفسيركاذا ؟ كيف دخل ذلك الغريب ؟

- (الحارس) : سيد فهمي صدقني أنا لم أغادر مكاني في الليلة الماضية ، ولم أشاهد احداً غريباً يدخل العمارة بتاتاً .

صدم المحقق و السيد عماد بهذه الاجابة ..

- (المحقق فهمي) : ما الذي تقوله ؟

- (السيد عماد) : هل نتعامل مع شبح ؟ ، كيف حصل ذلك ؟

- (الحارس) : سيدي لا اخفي عليك أنّي قد كبرت في السن و بصري وسمعي قد ضعفا ، لكنني متأكد .. انا لم أرى أي غريبٍ يدخل أو يخرج من المبنى ليلة الأمس .

تبادل المحقق فهمي والسيد عماد النظرات مجدداً وقد بدأ الخوف يتسلل الى قلوبهما ..

- (السيد عماد) : حسناً شكراً لك ، يمكنك الذهاب الان ، و أنت يا فهمي فالنتابع طريقنا و بعد عودتنا سنرى تقرير فرقة البحث التي ستصل الى شقتك بعد قليل .

كان الطريق نحو ديوان العائلة طويلاً ولكن بالرغم من طوله إلّا أنّ الصمت قد بقي مطبقاً على الجو بالكامل ، وطغى صوت انهمار المطر على تلك الرحلة ، لم يكن لدى أيّ من الرجلين شيءُ ليقوله ، شخص يظهر فجأة ويختفي فجأة من دون أن يلمحه أحد ، عيون حمراء ، طريقة قتل بشعة ، و رسالة تهديد واضحة ، رقم مجهول ، هذا كل ما حصلا عليه حتى الان ، ولكن فجأة صرخ المحقق : " وجدت شيئاً .. "

- (السيد عماد) : ماذا هناك يا فهمي ؟ لقد أخفتني .

- (المحقق فهمي) : هناك شيء ما في جيب معطفي ، دعني أخرجه ..

وأخرج المحقق من جيبه مغلّفاً أبيض صغيراً لم توجد عليه أيّ علامات .

- (الرئيس عماد) : افتحه بسرعة ..

فتح المحقق الظرف ليكتشف فيه خيبة جديدة ، فما في الظرف سوى " ولّاعة " جميلة مزينة ومرصة ، ولفافة تبغ واحدة من نوعية فاخرة كتب عليها " احذر .. ستنقذ حياتك ".

- (السيد عماد) : ما هذا أيها المحقق ، هل تسخر مني ؟ وضعت هذه الأشياء لتمازحني ؟

- (المحقق فهمي) : صدقني لست من وضعها ، أنا اصلاً لا أدخن ، وأنا متأكد أن ذلك الغريب هو من وضعها ، ولكن لماذا ؟

- (السيد عماد) : لا اعلم ، لكن ما حاجة المجرم لـ" ولّاعة " ؟ ولم يضعها في جيبك ، وبما انك لا تدخن فما سر هذه العبارة المكتوبة على لفافة التبغ " ستنقذ حياتك " ! التدخين ينقذ الحياة .. لقد أضحكني حقاً ، أعطني اياها لأدخنها .

- (المحقق فهمي) : لا لن تدخنها وأنا بجانبك في السيارة ، أنتظر حتى نصل و دخنها عندما لا أكون بجوارك فأنا أكره رائحة التبغ، ثم انها احدى ادلة القضية فكيف تتلفها ؟

- (السيد عماد) : سيهزء افراد الشرطة بك إن اخبرتهم أن دليلك في القضية لفافة تبغٍ وولّاعة ، ثم انني لا أرى فيهما شيئا مشبوهاً وقد تكون مجرد مزحة من ذلك المجرم .

- (المحقق فهمي) : لا أعتقد ان ذلك المجرم يمزح ، وربما ستنقذ هذه السيجارة حياة أحد حقاً ، لكن صدقني لا أعرف كيف .

وبعد ما يقارب الساعة من القيادة ، وصل الرجلان أخيراً الى ضواحي المدينة حيث ديوان العائلة ونزلا من السيارة ، كان المبنى مكوناً من طابق واحد ولكن مساحته واسعة جداً وله باب رئيسي كبير، كان من السهل تمييزه بسبب مساحته الكبيرة و كثرة السيارات والاشخاص حوله ، لم يتسع المبنى مع ضخامته لكل الزائرين و قد وقفوا في الخارج بانتظار افساح المجال لهم للدخول .

دخل المحقق ورئيس الشرطة المبنى بصعوبة لكثرة الزحام فيه وما ان رآهما السيد منير حتى دعاهما للجلوس بجانبه ..

- (السيد منير) : هل وصلتم لشيء أيها الضابط ؟.

- (السيد عماد) : هناك الكثير من التطورات سيدي ، وسنمسك المجرم من خلال ما ترك من أدلة ، وذلك سيكون قريبا جداً أؤكد ذلك.

- (السيد منير) : أي أدلة ؟ قلتم لي أن القاتل لم يترك أي أدلة خلفه ايها الضابط .

- (السيد عماد) : لا سيدي لم يترك الفاعل أي دليل في مسرح الجريمة ذاك ، لكنه بالأمس أقدم على فعل أحمق آخر واقتحم شقة المحقق فهمي ، فريق البحث الآن يعاين الشقة ولا بد أن يجد شيئاً يقودنا اليه .

- (السيد منير) : من الجيد أنك لا تزال حياً ايها المحقق ، جد ذاك القاتل من أجلي بسرعة وأعدك بمكافئة مجزية .

- (المحقق فهمي) : شكراً على كرمك سيد منير ، سأجده بأذن الله قريباً جداً.

أستغل السيد عماد انشغال السيد منير باستقبال الضيوف وهمس في أذن المحقق فهمي : " هل تذكر لفافة التبغ ؟ " أجاب المحقق: " نعم ، ماذا تريد منها الان ؟ " اجاب السيد عماد : " أعطني اياها والولّاعة ، سأخرج لأدخنها في الخارج فقد أختنقت في هذا المكان " ، أخرج المحقق الظرف الأبيض كاملا وناوله للسيد عماد وهمس في أذنه ، "أتمنى لو اعرف كيف ستنقذ حياتك ! " ، فاجابه السيد عماد : " لا عليك " ، وأخذ الظرف و استئذن خارجاً .

****

خرج رئيس قسم الشرطة السيد عماد خارج ديوان العائلة بحجة التدخين و وصل الى سيارته ، " حقاً لقد انقذتي حياتي من ذاك المنير المزعج ، عندما أجد صاحبكي المجرم سأشكره بشدة على ارسالكي إلّي " ، تفحص السيد عماد المسترخي داخل سيارته لفافة التبغ جيداً ولم تبدو عليها أيّة علاماتٍ للريبة ، كانت مجرد سيجارة من نوع فاخر من السجائر ، سحب الولّاعة ووضع السيجارة في فمه ، وأشعلها ..

وما أن ضغط على زر الولّاعة حتى دوّى صوت انفجار هائل في المكان ، وتحول المشهد بلمح البصر الى اللون الاحمر.. وتناثر الركام والرماد في كل مكان، لقد انفجر المبنى انفجاراً كبيراً مما أدى لإنهيار قسم كبير منه ، ثم اشتعلت النيران في بقية اجزائه .

- (السيد عماد) : لا لقد انفجر الديوان ، لقد انفجر .. مستحيل ..

ولم يشهد السيد عماد سوى الأشلاء تعم المكان وأصوات الصراخ تأتي من كل الاتجاهات ، لقد انهار جزء من السقف على من كانوا في الداخل ، ولا شك أنَ معظمهم إن لم يكون كلهم .. قد وقعوا بين قتلى .. وأشلاء.

هرع السيد عماد الى المبنى الملتهب وبيده جهازه اللاسلكي :

"أرسلوا وحدة تفكيك المتفجرات والشرطة فوراً ، انها حالة طارئة و أرسلوا سيارات الاطفاء .. أواجه حريقا هائلاً هنا .. ثمّة الكثير من المصابين ، الدماء تعم المكان أرسلوا الاسعاف فوراً " ، ولكن السيد عماد تذكر فجأة المحقق فهمي والسيد منير ، " يا إلهي انهما في الداخل ، أخشى أن يكونا .. لا لا اريد التفكير في ذلك " ثم اندفع نحو المبنى المدمّر ملقياً بنفسه بين كل تلك الدماء والركام والنيران المشتعلة والرماد وهو يصرخ منادياً صديق عمره الذي رافقه طيلة فترة خدمته خمسة عشر عاماً ، انه المحقق فهمي ، ولكن هيهات بأن تنجح محاولاتك الشجاعة ، فقد منعت النيران والركام أيّ احد من الدخول.. حاكمة على كل من فيه بالموت ، الانفجار الهائل قد سبّب إنغلاق المدخل الرئيسي للمبنى ولم يعد هناك فرصة لانقاذ أي احد ممن كانوا في الداخل ، وامّا السيد عماد فقد جثم على ركبتيه باكياً يصرخ منادياً : " لا يا فهمي لا تتركني ارجوك ".

خرج من بين الناس السيد منير و قد اصيب عدّة اصابات ، لكنه ما زال قادراً على المشي ، ووصل الى السيد عماد لاهثاً :

- (السيد منير) : ما الذي حصل ؟ من فعل هذا بنا ايها الضابط ؟ أجبني

- (السيد عماد) : أجبني أنت أين فهمي ؟

وأمسك السيد عماد بعنق السيد منير بشدة .

- (السيد منير) : لقد تركته بالداخل ، أتركني تكاد تخنقني ..

وصلت سيارات الاطفاء والاسعاف والشرطة بعدها بلحظات وبدأت عمليات اطفاء النيران فوراً ثم تبعتها عمليات التنقيب واخلاء المصابين الى المستشفيات ، ثم عمليات استخراج القتلى من تحت الركام ، وهنا تلقى السيد عماد في يده تلك القلادة التي لطالما حملها فهمي حول عنقه ، وقد كان ذلك تصريحاً واضحاً من رجال الانقاذ .. بوفاة صديقه ورفيق عمره المحقق فهمي متأثراً بذلك الانفجار والذي قضى عليه فوراً ، كانت صدمة هائلة لكل المدينة والمدن المحيطة ، أصبح هذا القاتل شبحاً

مطلوباً في كل مكان ، وانتشرت الاشاعات الكثيرة حول حقيقة هذا الشبح المجرم ، فيما وقفت الشرطة عاجزةً تماماً امام نقص الادلة وغياب الشهود ، راح ضحية هذه الحادثة المحقق فهمي ومعه أكثر من تسعين فرداً معظمهم من أفراد العائلة ، قضوا نحبهم على أثر هذا الحادث المروّع ، وستبقى صورة الدماء والاشلاء والنيران .. عالقة في ذهن السيد عماد الى الأبد ، لن ينسى هذا اليوم الذي خسر فيه صديقاً لا تعوضه الايام (المحقق فهمي) .

****

- (السيد عماد) : أريد أن أعرف كيف انفجر المبنى ، ولماذا في هذا التوقيت ، كيف اشتعلت النيران بهذه السرعة ؟ من أين جائت النيران أصلا ؟ لا تقفوا أمامي هكذا هيا تحركوا وابدأوا البحث الآن .

لم تمضي الا بضع دقائق بعد انتشار نبأ الحادثة ، حتى رن هاتف السيد عماد وقد كان المتصل (وزير الداخلية) :

- (الوزير) : ماذا يجري يا عماد ؟ هل نتعامل مع ارهابي هنا ؟

- (السيد عماد) : لا أعلم شيئا سيدي ، كل ما اعرفه أن هذا المجرم ذكي جداً ...

لم ينهي السيد عماد جملته حتى صاح الوزير : " كيف لا تعرف ؟ ومن يعرف اذا ؟ أريد اجابات لما يحصل ايها الضابط باسرع وقت ، سيتم فرض حواجز امنية في كل مكان في هذه المدينة وغيرها ، هذه قضية تمس بالأمن القومي للدولة ويجب أن لا يتفاقم الوضع أكثر من ذلك ، هل سمعت كلامي ؟ "

- (السيد عماد) : أجل سيدي .

كان يوماً صعباً على السيد عماد وكذلك كانت ليلته ، اذ لم يستطع النوم لدقيقة واحدة لشدة حزنه على صديقه المحقق فهمي الذي راح ضحية لهذا المجرم الغامض ، لكن وفي نفس الوقت لم يغادر ذهنه سؤال واحد ؟ كيف فجر القاتل المبنى ؟ كيف استطاع ذلك ؟ وكل هذا الجمع من الناس كيف لم يتنبه اليه أحد ، هل وضع القاتل قنبلة في المبنى ؟ ألم يلحظ احد أي جسم غريب ؟ ولكن ما نوع هذه القنبلة التي تنسف مبنى بهذا الحجم وتشعل فيه النيران ايضاً ، لابد وأن وزنها مئات الكيلوغرامات ، كيف ادخلها القاتل المبنى ؟ " لا أصدق ان هناك شخصاً يملك هذه القدرات ، هذا الذي نتعامل معه حقا قادم من أعماق المجهول ومن حافة الرعب ، قادم لينتقم .. تماماً كما قلت يا فهمي" .

في اليوم التالي كان على مكتب السيد عماد الكثير من التقارير ، منها كان تقرير فحص شقة المحقق فهمي حيث هاجمهالمجرم ، لكن للأسف لم توجد بصمات ولا أي أدلة ، لكن التقرير أوضح بأن المصعد لم يكن معطلاً بل كانت الكهرباء مقطوعةً عنه فقط ، أما التقرير الثاني فكان عن انفجار المبنى حيث اوضح أن الانفجار كان مصدره سطح المبنى وليس داخله ، والمفاجئة الكبرى كانت أن الذي انفجار هو خزانات المياه ! لكنها لم تحتوي على المياه بل احتوت على الوقود القابل للاشتعال بسرعة ، وزن الوقود في الخزانات كان كافياً لإحداث انفجار ينسف هذا المبنى بكل سهولة ، كما وجد أن مفجر الخزانات لم يكن مؤقتاً زمنياً بل كان جهاز تحكم عن بعد قصير المدى لم يعثر عليه ، وما أن قرأ السيد عماد كلمة (قصير المدى) حتى تذكر الولّاعة ولفافة التبغ ، أخرج الولّاعة فوراً ونظر اليها هذه المرة نظرة فاحصة ، واستدعى فوراً أفراد البحث في قسم الشرطة وناولهم اياها لفحصها ، ليكتشف هذه المرة أنّ جهاز الارسال كان بحوزته هو طيلة الوقت .

انهار السيد عماد باكياً امام هذه المفاجئة غير المتوقعة " انا من فجّر ذلك المبنى بغبائي .. تلك الجملة "احذر ستنقذ حياتك " كانت للتضليل فقط ، أراد القاتل مني الضغط على الولّاعة لأفجر المكان ، حتى كتابتها على لفافة التبغ كانت لصرف النظر عن الولّاعة الملغومة ، يا له من

قاتل ذكي .. تباً ، وقد أعطاها لفهمي وليس لي ، هل كان من المفترض به أن ينجو وأموت أنا ؟ هل أخذت مكانه في هذه اللعبة ؟ أرجوك يا صديقي بأن تسامحني على استخفافي بكلامك حين حذرتني من العبث بها.. " .

باءت محاولات رجال الشرطة للتخفيف عن السيد عماد بالفشل واستمرت نوبة الانهيار التي اصابته لعدة ساعات ، لكنه اخيراً نهض وقرر أنّ عليه الوصول لذلك المجرم المجنون بأسرع وقت و بأيّ ثمن، ثم انتفض من مكتبه وخرج متجهاً نحو المشفى الذي يرقد فيه السيد منير لتلقي العلاج وفي باله سؤال واحد :" كيف ملئ القاتل خزانات المياه بالوقود؟ عليّ العودة الى ذلك الديوان والبدء من جديد ، أين أنت يا منير فلدي الكثير من الأسئلة لأوجهها إليك" .

وصل السيد عماد الى المشفى و دخل الى السيد منير واطمئنّ على سلامته اولاً ثم تبادلا الحديث عن حقيقة تلك الواقعة ، وما إن علم السيد منير بالحقيقة حتى أبدى تخوّفاً حقيقياً من هذا القاتل:

- (السيد عماد) : سيد منير هل تعرف كيف يمكن للقاتل أن يملئ الخزانات بالوقود دون أن يراه أحد ؟ ألم يستخدم أحد دورة المياه وينتبه الى أن ما سيخرج من صنابير المياه وقود وليس ماءً ؟

- (السيد منير) : صدقني أيها الضابط لا اعرف كيف ملئ القاتل تلك الخزانات بالوقود ، ولكن اتوقع انه استخدم سلماً للوصول اليها فالمبنى مكون من طابق واحد كما رأيت ثم استخدم نفس السلم لرفع كميات الوقود تلك الى سطح المبنى وتفريغها داخل الخزانات ، نحن نستخدم الديوان في الاجتماع الاسبوعي للعائلة ، والذي كان قبل الحادث بخمسة ايام تقريباً لذا أعتقد انه كان يملك مدة كافية للقيام بفعلته ، امّا بالنسبة لدورات المياه فهي معطلة منذ عدة أشهر ولا يستعملها أحد .

- (السيد عماد) : شكرا على هذه المعلومات سيدي ، ارجو لك الشفاء العاجل ، واسمح لي بالعودة لقسم الشرطة الان .

انطلق السيد عماد مسرعاً نحو قسم الشرطة ، " كالعادة لم يترك ذلك الشبح أي دليل خلفه " هذه الفكرة بدأت تسيطر على عقول الجميع في المدينة ، قاتل يظهر ويختفي ويقتل ويفجر دون أن يلمحه أحد ، هل يا ترى رآه أحد عندما وصل الى سطح المبنى وملئ الوقود ؟ بالتأكيد قد نفذ ذلك المجرم فعلته في ظلام الليل الحالك .. ضواحي المدينة هادئة و ما من أحد سيخرج من منزله في الليل ليتفقد ذلك المبنى ، لقد اختار القاتل ضحاياه اختياراً موفقاً جداً ، كما أختار توقيتاً دقيقاً و طريقة مناسبة للتنفيذ ، انها جريمة كاملة .

بعد وصول السيد عماد الى قسم الشرطة مجدداً وجد بانتظاره اثنين من المحققين قامت وزارة الداخلية بأرسالهما بأمر من معالي الوزير شخصياً لتولّي التحقيق في هذه القضية المعقدة ، (حسام) محقق شاب ، ذو خبرة متواضعة في مجال التحقيقات الجنائية، ولكن مشهود له بالذكاء الفائق والقدرة العالية على التحليل والاستنتاج ، وقد سبق له حل عدّة قضايا صعبة في عدد من دول العالم ، (سامي) الأكبر سناً والأكثر خبرة ، معروف بصمته الطويل وملاحظاته الدقيقة جداً ويمكن الإعتماد عليه في مثل هذه القضايا الشائكة ، رحّب بهما السيد عماد ومن ثم اطلعهما على أدق تفاصيل القضية ، وبعد ذلك ناولهما التقارير والسجلات للاطلاع عليها ،فأخذ المحققان بدورهما نسخة من كل التقارير التي كانت على مكتب السيد عماد ، ثم غادرا و أخبرا السيد عماد بأنهما سيتصلان به لاطلاعه على ما توصلا اليه في اقرب وقت ممكن ، في حين بدت هذه القضية تأخذ منحاً دولياً وتنتشر الشائعات عن ارهابي هارب .

حل المساء اخيراً و بدأت أشعة الشمس بالاختفاء في الافق البعيد معلنة عن انتهاء ذلك اليوم من العمل ليغادر السيد عماد نحو منزله مجدداً وتفكيره لا يتوقف و ذكرى صديقه لا تزال تحرق قلبه حزناً وشوقاً ،" ماذا سأفعل من دونك يا فهمي .." وفجأة اوقف السيد عماد سيارته في منتصف الطريق ..

" وجدتها .. أمسكتك ايها الغادر ، أجل كيف لم يخطر في بالي ذلك ! " سحب السيد عماد مسدسه وانطلق مسرعاً عائداً نحو العمارة التي كان

يسكنها صديقه المتوفى فهمي : " فهمت .. فهمت كل شيءٍ الآن ، لابد أن يكون حارس العمارة ، ومن غيره .. المصعد لم يكن معطلاً لكنه اخبر فهمي بذلك كي يستخدم الدرج .. في حين استخدم هو المصعد للوصول الى الطابق العلوي ومن ثم دخل باستخدام مفتاح احتياطي الى شقة فهمي و باغته ، لا عجب أنه قطع الكهرباء عن الشقة كي لا يراه ، لأنه لو رأه لعرفه فوراً ، وأمّا الوجه والعيون الحمراء فلا بد أن تكون هذه خدعة رخيصة ولربما قناعاً حصل عليه من مكان قريب ، أمسكت بك ايها المجرم ستدفع الثمن غالياً .. " .

وما أن وصل السيد عماد الى العمارة المنشودة حتى تقدم حاملاً مسدسه نحو غرفة الحارس وضرب الباب بكل قوته ، تلك ضربة حطمت الباب مباشرةً ، لكن الحارس لم يكن موجوداً هناك ، وخرج السيد عماد يبحث هنا وهناك عن الحارس الذي اختفى وكأن الارض انشقت وابتلعته ، فقرر أن يسأل عنه أحداً من سكان العمارة، فدخل الى الطابق الارضي منها و طرق أحد الابواب ، فتح الباب وخرجت منه أمرأة كبيرة في السن

- (المرأة) : ماذا تريد يا بني ، كيف أساعدك ؟

- (السيد عماد) : أعتذر عن الازعاج في هذه الساعة سيدتي ، كنت أسأل عن حارس العمارة ، أين هو هل تعرفين ؟

- (المرأة) : لم أره منذ الأمس ، لقد كنت أبحث عنه أيضاً .

- (السيد عماد) : شكراً لك سيدتيوأعتذر عن الازعاج مرة أخرى .

وانصرف السيد عماد وقد تأكد بأنه وصل الى الفاعل الحقيقي ، لقد حل هذا اللغز ، إن لم يكن الحارس هو الفاعل فلابد أن يكون شريكاً له و سيقود بالتأكيد إليه ، وسحب جهازه اللاسلكي وأبلغ جميع الوحدات بأعتقال المشتبه فيهفور ظهوره وهو حارس يدعى (عبدالرحمن صالح) ، ثم انسحب بسيارته نحو منزله مرة أخرى وهو غير قادرٍ على الانتظار حتى يقبض على الحارس الهارب :" أين ستهرب مني ، سأجدك وأثأر لصديقي منك ، نعم سأنتقم انا أيضا .. سأنتقم " .

****

تلقى السيد عماد اتصالاً عاجلاً من المحقق حسام :

- (السيد عماد) : ماذا لديك ؟ هل وصلت لجديد ؟

- (المحقق حسام) : ارغب بزيارة شقة المحقق المتوفى فهمي إن أمكن سيدي؟

- (السيد عماد) : فكرة جيدة ، وانا لدي ما أطلعك عليه ايضاً ،سأوافيك في قسم الشرطة خلال دقائق ، وأرجوا أن تبلغ المحقق سامي بالحضور ايضاً .

وفي غضون دقائق، كانت سيارة السيد عماد تتوقف امام قسم الشرطة و من الافق البعيد يطل ظل المحقق حسام مسرعاً للقاء برئيسه ، تبعه بثوانٍ ظلُ آخر للمحقق سامي :

- (السيد عماد) : لدي شك كبير بأنّ حارس العمارة له العلاقة بهذه الجريمة وساخبركما باستنتاجي : مصعد العمارة لم يكن معطلاً في تلك الليلة ، أقصد ليلة اقتحام المجرم لشقة المحقق فهمي ، ولكن الحارس اخبر فهمي بذلك ليستخدم الدرج ، بينما استخدم هو المصعد للوصول الى الدور العلوي قبله ومن ثم فتح باب شقته باستخدام مفتاحٍ احتياطي ، من المأكد بأن كل حارسٍ يملك مفاتيح احتياطية ، ومن ثم تنكر بذلك الزي المرعب وباغت فهمي ، ذلك هو التفسير الوحيد لما حصل ، فما رأيك ؟

- (المحقق حسام) : ربما تكون على حق ، ولكن ما الذي سيدفع حارس العمارة لاقتراف كل هذا ؟ لا تنسى أن من هاجم المحقق فهمي ومن نفذ جريمة القتل في وسط المدينة ومن فجر الديوان ايضاً هو شخص واحد .

- (السيد عماد) : وما الذي سيدفع أيّ شخص لاقتراف هذه الجرائم البشعة ؟ الفاعل شخص غير طبيعي ابداً وربما كان مجنوناً .

- (المحقق سامي) : اذا هل لديك فكرة عن المكان الذي يختبئ فيه الحارس سيدي ؟

- (السيد عماد) : لا .. لكنني حصلت على رقمه من شركة الاتصالات ووضعته تحت المراقبة، ما من مهرب .. وسنصل اليه عاجلاً أم آجلاً، حسناً إن أردتما الذهاب الى شقة المحقق فهمي فهيا لاوصلكما الى هناك لعلكما تجدان شيئاً جديداً لم ينتبه اليه أفراد فرقة البحث ، لقد تذكرت..هناك من اتصل واخبرني بأنه قد يملك معلومات تفيدنا في التحقيق انه صديق الضحية الاولى واسمه مراد، لقد نسيت أمره جرّاء حادثة الانفجار ، وأعتقد أنه يجب بدء التحقيق منه .

- (المحقق حسام) : اذا لنذهب اليه فوراً ، سنأجل الذهاب الى شقة المحقق فهمي الى صباح الغد .

وعلى الفور اتصل السيد عماد بالمدعو مراد:

- (مراد مرتبكاً) : الو .. من على الخط ؟

- (السيد عماد) : انا رئيس قسم الشرطة الذي تحدثت اليه قبل عدة ايام يا مراد هل تذكرتني ؟

- (مراد) : نعم سيدي تذكرتك ، كنت أخشى أن ضغوط العمل ستنسيك إياني ، ارجو أن تقبل دعوتي للحضور الى منزلي بأسرع وقت سيدي .

- (السيد عماد) : على الفور ، سآتي انا واثنان من المحققين الى بيتك وارجو أن يكون لديك ما يفيدنا .

- (مراد) : اهلا بكم ، اكتب العنوان من فضلك .

واعطى مراد عنوان بيته للسيد عماد و المحققين سامي وحسام وانطلقوا مسرعَين نحوه .

وصل الرجال الثلاثة الى منزل مراد القريب من الضواحي ، كان المنزل عبارة عن شقة في الطابق الارضي من عمارة قديمة تحيط بها الاشجار العالية من جانبيها ، كما أن الحي هادئ جداً ، وكانت الاضاءة الخافتة الآتية من مصابيح الشارع قد أضفت على المكان الرهبة وكأن المبنى معبد قديم تحفه الأرواح التائهة من كل جانب ، أحس الثلاثة بأن هذا المكان هو الطريق الصحيح نحو حل هذا اللغز الصعب ، والامساك بذاك القاتل الشبح ، الذكي الذي فاجئ الجميع ، طرق السيد عماد باب منزل مراد ،لحظات فقط وفتح الباب بقوة .. وظهر مراد ، تفاجئ السيد عماد والمحققان بشكله ، لقد كان شاباً في العشرينات من عمره لكن وجهه شاحبٌ وشعره تحول الى البياض ، منظرُ يوحي بكمية الخوف الموجودة في قلب هذا الشخص ، طلب مراد من الثلاثة الدخول بسرعة ومن ثم اغلق الباب بعدة أقفال كانت تبدو مركبّة حديثاً:

- (مراد) : شكرا لمجيئكم يا سادة ، أرجوكم أعطوني الأمان أولاً لأبدأ حديثي اليكم ..

- (السيد عماد) : ما الذي تخفيه يا مراد ؟ هل ارتكبت انت وصديقك الميت جريمة ما ؟ على كل حال أخبرني بما لديك وسأخبر رجال الشرطة بأنك سلمت نفسك وساعدتني في الامساك بالقاتل ليخفف عنك العقاب.

- (مراد) : لا يا سيدي لم تفهمني ، انا لا أبحث عن تخفيف العقاب .. بل اطلب الحماية .. احموني منه .. ارجوكم .

- (السيد عماد) : من هو ؟ أجب بسرعة والا قتلتك انت ايضاً .

- (مراد) : ذلك الشبح ، لقد أرسل اليِّ رسالة في اليوم التالي من قتله لصديقي المتوفى أحمد.

- (السيد عماد) : أرني تلك الرسالة ، وأخبرني كيف وصلت اليك ؟

- (مراد) : ها هي ..

واخرج مراد من جيبه ورقة بيضاء وناولها للسيد عماد

- (مراد) : وجدتها تحت باب منزلي .

كانت الرسالة مكتوبة بخط اليد ، نفس اليد المرتعشة التي كتبت الورقة بجوار الضحية الاولى أحمد ، " ستدفع الثمن " هذا كل ما هو مكتوب فيها ، طوى السيد عماد الورقة مرة اخرى ونظر الى مراد نظرة حادة "أخبرني ماذا تعرف ، أخبرني كل شيء عن صديقك ، ماذا فعلتما كي يحصل كل هذا ، اياك والكذب او اخفاء اي شيء ، هذا إن كنت تريد حمايتنا لك" .

- (مراد) : سأخبرك .. لقد وصلت ورقة كهذه الى صديقي أحمد قبل الحادثة باسبوع تقريباً ، لكننا استهزئنا بها كعادتنا وقام أحمد بحرقها ولم نكترث لأمرها ، لكن بعد ما جرى .. انا متأكد أنني التالي ، لقد أغلقت كل النوافذ و اغلقت الباب بهذه الأقفال واتصلت بالشرطة ، كنت خائفاً من الخروج من البيت لاصل الى مركز الشرطة ، ولذلك دعوتكم الى هنا .

- (السيد عماد) : اخبرني لماذا يلاحقهم هذا المجرم ؟ ، ومن هو ؟

- (مراد) : لقد كنت انا وصديقي أحمد سيّئين جداً ، ارتكبنا الكثير من الأخطاء بحق الناس حولنا ، كنا نحتمي باسم عائلة أحمد الكبيرة ، فلا أحد يجرئ على المساس بنا ، وصلت أفعالنا الى السرقة تارة والاختطاف تارة اخرى ، وربما أكثر من ذلك في بعض الأحيان ، ولعل ما يجري الآن هو عقاب لنا على ما اقترفنا

- (السيد عماد) : هات كل ما لديك يا مراد ، اخبرني بكل ما فعلتموه.

- (مراد) : لك ذلك سيدي ، لست أدري من أين سأبدأ ولكن .. حسناً في احدى المرات دخلنا احد متاجرالمدينة المعروفة انا وأحمد برفقة عدد من اقربائه الكثر ، وقد أخذنا من صاحب ذلك المتجر كل ما كان في صندوق النقود وغادرنا تاركين خلفنا المتجر يضج بفوضى عارمة ، حتى الرجل لم يسلم منّا وقد قمنا بايذائه بشدة .

- (السيد عماد) : وماذا فعل ذلك المسكين بعد ذلك ؟

- (مراد) : لا شيء .. كالعادة ، فلا أحد من المدينة كان يجرئ على الوقوف في وجهنا .

- (السيد عماد) : هذه المعلومات لا تفيدنا بشيء يا مراد ، اخبرني ماذا لديك بعد ؟

- (مراد) : لقد كنا ذئاب ضالة يا سيدي .. تتجول دائماً في الشوارع المظلمة باحثة عن أهداف تصطادها ، لا زلت اذكرفي أحدى الليالي شديدة الظلمة حين حاولنا سرقة حقيبة من فتاة مسكينة ، لكن خاطبها الشجاع تدخل في اللحظة الاخيرة وقاومنا بشدة وقاتل برجولة حقاً ، لكن أحدنا باغته بسكين في ظهره .. لم نتوقع أن يوجد في هذه المدينة أحد بهذه الشجاعة ليقاومنا ، لذا كان لابد من التخلص منه ..

- (السيد عماد) : وهل مات؟

- (مراد) : لا سيدي فقد تلقت الفتاة السكين بدلاً عنه ، وافتدت حبيبها بروحها ، صدقني انا لم أشارك في ذلك العراك الدموي ، على كل حال لم نسمعأيّخبر عن وفاة الفتاة .. لذا يبدو أنها لم تتأذى كثيراً .

- اجاب السيد عماد وهو يحبس أنفاسه : " وماذا لديك بعد هيا تابع كلامك " .

- (مراد) : في أحدى المرات قمنا بأختطاف ابنٍ لرجل فقير ، وقد هددناه بأن لا يرى ابنه مجدداً اذا لم يدفع لنا مبلغاً كبيراً من المال ، لم يكن باستطاعة ذلك الرجل أن يدفع فقد كان فقيراً، جلس ذاك الأب يبكي ويتوسل الينا لنعيد اليه ابنه ، لكننا ..

- قاطعه السيد عماد غاضبا : قتلتموه ؟

- (مراد) : لا لا لم نقتله ، لكننا أشبعناه ضرباً ..حتى فقد قدرة السمع باحدى اذنيه ، تضررت عيناه ، تحطمت اسنانه ، و كسرت يده ، ورجع لأبيه مخضباً بدمائه .. ، لم يستطع الاب فعل شيء حيالنا في حينها فقد كنا نزيد على العشرين شاباً قوياً ، وهو وحيد ولا طاقة له بنا ، وهكذا استمرت حياتنا الاجرامية انا و أحمد مع أُقربائه .. واقترفنا الكثير

والكثير من المصائب والافعال المخجلة ، ونحن كنا مجموعة واحدة من مجموعات كثيرة شكلها أبناء عائلة أحمد وأقربائه ..

واستمر مراد لعدة ساعات بسرد القصص الاجرامية عنه و عن أحمد مع اقربائه من العائلة ، كل قصة كانت أبشع من التي قبلها وكل فعل كان يعطي للمحققين و السيد عماد فكرة عن حجم الحقد الذي يملكه ذلك المجرم ولماذا قتل أحمد بالمسدس وقتل اكثر من تسعينآخرين حرقاً عندما فجر بحركته الذكية تلك ديوان العائلة ، وفجأة توقف مراد عن الكلام لبرهة ، ثم تابع ..

- (مراد) : ربما كل تلك الجرائم التي اقترفتها برفقة أحمد وأقربائه تبقى صغيرة مقارنة بما اقترفته عائلته قديماً ، لقد كانوا قتلة محترفين يا سيدي الضابط .

- (السيد عماد) : أخبرني بما تعرفه يا مراد ، ثم عليك أن تخبرني باسماء وعناوين كل أولئك الذين أذيتموهم ، سنحقق في أمرهم جميعاً ، وساقف الى جانب المدعي العام ضدكم انت وعائلة أحمد كاملةً لينال جميعهم تعويضاً مجزياً عما فعلتموه بهم ، والان هيا تابع كلامك .

- (مراد) : في احدى المرات حدثني أحمدعن قصة تدور حول عائلته ، لقد قاموا بقتل رجل وزوجته ، كان الرجل مديناً لعائلة أحمد بمبلغ زهيد من النقود، فما كان من رجال العائلة الا أن داهموا منزل الرجل ، ولكنهم لم يجدوا في المنزل الا زوجته فقاموا بقتلها فوراً، والقيت جثتها على ارضية المنزل ، بقي الرجال ينتظرون زوجها الى أن عاد وشاهد زوجته ملطخة بالدماء ، ومن ثم أمسكوا به وقتلوه هو الاخر ، وربما القوهما معا في بئرٍ بعيدة ، لم يأكد أحد بحقيقة تلك القصة فقد كان الزوجان غريبين عن المدينة وليس لهم أهل فيها ، وقد تحولت هذه الحادثة الى أسطورة ترهب السكان في كل مكان ، وقعت قبل اكثر من عشرين سنةمن الآن وقد أكد لي أحمد صحتها وأنها ليست نسجاً من الخيال .. لقد كانت حادثة حقيقية ، رواها لي ذات مرة ، ولم تغب عن بالي منذ سمعتها أبداً ، حقا يا سيدي الضابط انا متأكد ان العائلة تستحق ما يحصل

لها وأكثر ، لكنني اعلنت توبتي عن أفعالي ،وارجو أن يسامحني الجميع ، كما أرجو أن يسامحني الشبح ولا يقتلني .

- (السيد عماد) : لم تجبني يا مراد ، من هو الفاعل برأيك ؟ وما علاقة الاساطير القديمة بقضيتنا ؟

- (مراد مرتبكاً) : القاتل ليس بشراً سيدي ، قرأت ذات مرة كتاباً تاريخياً يؤكد أن الارواح المقتولة ظلماً لا ترقد في قبور أصحابها ، وستطارد من قتلها حتى تقتله ، ما من أحد يمكنه رؤيتها ولا ايقافها ، وهذا يفسر كيف قتل صديقي ولم يعثر على أيّ دليل يقود الى قاتله ،هل تصدقني الآن يا حضرة الضابط .

وقف السيد عماد يعدّ نفسه للمغادرة : " أرجو أن لا يصل اليك ذلك المجرم ، أنتم تستحقون أكثر من هذا ولكن ليس لدي ما أفعله معكم ، هيا اكتب كل أسماء الاشخاص الذين اخبرتني عنهم وعناوينهم إن كنت تذكرها ، واكتب أسم كل شخص شارك معك ايضاً ، لست أعلم ماذا سأفعل بك بعدها ، لكن يستحسن أن تبقي هذا الباب مغلقاً عليك ريثما أرسل أحد لحمايك ، أمّا إن كنت تعتقد حقاً بأن أرواح أولئك الزوجين لا تزال تطاردك .. فافتح جميع مداخل منزلك ، فلن تمنع هذه الاقفال الأرواح من الدخول " .

كتب مراد أسماء عشرة من الأشخاص كانوا قد قاموا بأيذائهم مع عنوان كل منهم ، ثم كتب قائمة بأسماء أكثر من خمسة عشر شخصاً من اقرباءالضحية أحمدواصدقائه ، أخذ المحققان الورقة مع الرسالة التي وصلت لمراد و غادرا برفقة السيد عماد الذي كانت تملئه الكثير من الأحاسيس المترددة بين الحزن والألم وبين الغضب والحقد ، هو يدافع عن مجرمين ضد مجرم اخطر منهم ، لماذا يدافع عنهم اذا ؟ فليترك هذا المجرم ليريح البشرية منهم ومن شرورهم و أفعالهم الدنيئة ، وهل حقاً هناك عقول غبية لهذا الحد لتصدّق تلك الافكارعن أرواح لم ترقد وتبحث عمن قتلها! قاطع افكار السيد عماد حديث المحقق حسام : " لا يزال

لدينا متسع من الوقت، ما رأيك بالذهاب الى شقة المحقق فهمي الآن سيدي ؟ ".

- (السيد عماد) : تذكرت ، هل يوجد بين أسماء الاشخاص اسم ذلك الحارس ؟ اذكر ان اسمه كان (عبد الرحمن صالح) .

- (المحقق حسام) : لا سيدي لا يوجد له اسم ولا عنوان هنا ، ربما نسيه مراد من كثرة جرائمه ..

- (السيد عماد) : ربما تكون محقاً ، حسناً لنذهب الى شقة فهمي وسنبحث عن الحارس هناك مجدداً .

أنطلق الثلاثة نحو العمارة التي كان يقطنها المحقق فهمي ، لم ينطق المحققان ولا رئيس الشرطة بأي كلمة طوال الطريق الذي استغرق ما يقارب النصف ساعة من القيادة ، كان الكل مصدوماً بحجم هذه القضايا التي لم يسمعوا بها ابداً ، مراد ليس لديه في قسم الشرطة سجل أجرامي وليس مسجلاً من أصحاب الاسباقيات ايضاً ، لكنه يخفي جرائم تكفي لأرساله لحبل المشنقة بدون محاكمات ولا أيّة تحقيقات سابقة ، اعترافاته قد تودي بهذه العائلة بأكملها الى السجن ، لكن الغريب أن لا أحد من المكتوبة أسمائهم صرّح او اشتكى بأنه تعرض للأذى منهم ، هل حقاً يسيطر الخوف على كل سكان المدينة، وما تلك القصة التي تتحدث عن زوجين قتلتهما العائلة والقت بهما في بئر بعيدة ؟ هل نحن في غابة ليحصل كل هذا ! أين كان رجال الشرطة والمحققون عن كل هذه الافعال ، أين هم الناس الشرفاء عن الوقوف في وجه هؤلاء الظلمة ؟ومضت نصف ساعة من القيادة وقد وصل المحققان والسيد عماد الى العمارة التي كان يقطنها المحقق فهمي و انطلقوا مباشرةً نحو غرفة الحارس ، كانت توقعات السيد عماد في مكانها ، فقد وجد باب الغرفة على حاله ..مكسوراً كما تركه في ليلة الامس .

- (السيد عماد) : بالتأكيد ذلك الحارس قد عرف أن الشرطة تبحث عنه ولاذ بالفرار.

أخذ السيد عماد المحققين حسام وسامي و دخلالى العمارة وضغط زر المصعد ، كانت العمارة هي الاخرى قديمة ومعتمة بطبيعتها بالرغم من الاضاءة فيها ، الدرج مهترئ ومتسخ ، والجدران تحتاج للطلاء من جديد ، حتى أبواب البيوت كانت تبدو عليها علامات القدم ، استغرق المصعد القديم وقتاً طويلاً للوصول الى الدور الارضي حتى أن السيد عماد أعاد التفكير في شكوكه حول قدرة الحارس على الوصول الى الدور العلوي قبل فهمي باستخدام هذا المصعد ، وصل المصعد اخيراً و صعد الرجال الثلاثة فيه و طلبوا الدور العلوي فانطلق المصعد بصعوبة وارتفع ببطئ حتى وصلا الى الدور الذي توجد فيه شقة المحقق فهمي، وقف السيد عماد ونظر الى المحققين بدهشة :

- (السيد عماد) : ولكنني لا أملك المفتاح ! كيف نسينا ذلك ؟

- (المحقق حسام) : لا عليك سيدي فقد أخذت المفتاح من حاجيات المتوفى بعدما وصلت الى قسم الشرطة ، انه بحوزتي هيا لندخل ونلقي نظرة .

وأخذ المحقق حسام يحاول ادخال المفتاح في باب الشقة ، لكن الشقة كانت مفتوحة ، حتى الباب ترك مفتوحاً وانزاح الى الداخل عندما وضع المفتاح فيه، وتفاجئ الثلاثة بحركة الباب تلك :

- (المحقق سامي) : هل كان صديقك مهملاً سيد عماد ؟ و هل يسكن معه أحد هنا ؟

- (السيد عماد) : لا .. على العكس تماماً ، لم يغادر شقته يوماً دون أغلاق الباب ، توفي والده عندما كان صغيراً ثم لحقت به أمه قبل بضعة سنين ، هو يسكن وحيداً هنا .

فتح المحقق حسام الباب وانارالشقة ، وكم كانت المفاجئة صادمة حين وجدا المطلوب الأول والمشتبه فيه الوحيد في هذه القضية .. حارس العمارة (عبد الرحمن صالح) .. مقتولاً وملقاً على ارضية الشقة ودماؤه قد ملئت المكان ، سقط الرجلان الى الخلف مذعورين من المنظر

، لقد اصيب هذا الرجل بطلقتين دخلتا في عينيه وخرجتا من الجهة الأخرى من رأسه منهيتين بذلك حياته ، وقد بدى واضحاً بأن الجثة قد تصلبت وأن الدماء قد جفت في المكان ..

" اذا فقد عرفنا الآن أين اختفى الحارس ، لا شك انه مقتول هنا منذ يومين .."(المحقق حسام) .

أخرج السيد عماد جهاز اللاسلكي من جيبه و طلب التعزيزات والاسعاف فوراً ..

****

في الفصل السابق وصلت قصتنا الى نهاية مسدودة ، ومن جريمة واحدة الى ثلاث جرائم كل منها أعقد وأحلك من الأخرى ، حتى الآن لم توجد أيّة أدلة على ذلك الفاعل الذي اتفق الجميع على تسميته بـ"الشبح" ،قاتل يظهر فجأة لينفذ أبشع الجرائم ، ثم يعود الى حيز المجهول مجدداً بلا أثر ، فقد المحقق فهمي حياته بعد لقاء قريب معه، وقد لحق به أكثر من تسعين آخرين في انفجار هز القلوب والعقول من هوله قبل أن يحرق الابدان ، ولا ننسى الضحية الاولى (أحمد) الذي بلا شك كان على علاقة وثيقة بالمجرم الشبح لكنه على الأرجح لم يكن على علم بنواياه الاجرامية ، وها هي الجريمة الثالثة الأكثر غموضاً تقف مباشرةً أمام عيني السيد عماد رئيس قسم الشرطة والمحققين المساعدين حسام وسامي الذين لم يستطيعا اخفاء صدمتهما بما يجري ، وصلت طواقم الشرطة والاسعاف فوراً ، ولم يكن مفاجئاً بأن تقدير موعد الجريمة كان قبل يومين ، فمنظر الدماء الجافة على الارض و شكل الضحية الشاحب و شهادة سكان العمارة يظهر تماماً أنّ زمن الوفاة قد مضى عليه يومان تقريباً ، أمّا عن الشقة ، فعدا عن الصالة التي قتل فيها الضحية كانت باقي الغرف مرتبة وليس فيها أثر لأيّ شيء غريب ، لم يترك رجال

الشرطة هذه المرة فرصة للمفاجئات غير السارة ، فقد فحصت فرقة تفكيك المتفجرات الشقة جيداً بحثاً عن أي اجسام مشبوهة او وقود او ايّ مادةٍ قابلةٍ للاشتعال او أيّ شيء قد ينفجر ، لكن لحسن الحظ لم يوجد شيء من هذا ، كان في باب الشقة مفتاح موضوع من الجهة الداخلية، لكن لم يذكر في التقرير عند تفتيش الشقة بأن المحقق فهمي قد نسي مفتاحه في باب شقته ، على العكس فقد وجد المفتاح في جيبه عند وفاته ، الحارس ليس من تلك العائلة التي ينتقم منها القاتل الشبح ،فما علاقته؟ وكالعادة لم يترك الفاعل أدلة خلفه وحتى ظروف الرصاصات الفارغة اختفت من مسرح الجريمة بكل خفة ، لكن الهاتف كان ما يزال في يد الضحية و تظهر عليه عدة مكالمات لم يتم الرد عليها ، كلها كانت من السيد عماد حين كان يحاول الاتصال بالحارس ، لكن بعد تفحص الهاتف وجدت مكالمة من رقم مجهول وردت الى هاتف الضحية ، وقد رد عليها واستمرت لحوالي الدقيقة ، انه نفس الرقم الذي وجد على هاتف الضحية الاولى، يبدو أنّ القاتل يستعمل هذا الرقم لاستدراج ضحاياه ومن ثم الايقاع بهم ، بدء المحقق حسام بالبحث عن أدلة ولكن عبثاً ذهبت كل محاولاته .. فالشبح لم يترك أي شيء يدل عليه ، كان الملفت في هذه الجريمة هو طريقة القتل ،لماذ يقتل الشبح هذا الرجل بطلقتين في عينيه؟ هل يا ترى قد رأه اثناء هروبه أم هي أشارة يلمح بها القاتل لشيء معين؟ ، لاحقاً اثناء التحقيق اكتشفت ورقة اخرى في جيب الحارس المقتول كتب عليها " كان يجب أن تبتعد .. ".

وقف المحققان ومعهما السيد عماد حائرين تماماً لما يجري :

- (السيد عماد) : هل لدى أيّ منكما استنتاج أو تخمين لما يحصل ؟ فقد بدأت فكرة مراد عن الاشباح تسيطر علي .

- (المحقق حسام) : عقلي مشوش جداً .. لم أعد أفهم شيئاً مما يجري.

استدعى السيد عماد أحد أفراد الشرطة وسلمه الورقة التي كتبها مراد عن الاشخاص المساكين الذين اذوهم وطلب منه التحري عنهم واحضار

كل المعلومات الممكنة ، بالاضافة لاسماء من شاركوا بإيذائهم ،وبالفعل لم يغب الشرطي لأكثر من ساعة ثم عاد يحمل اوراقاً كثيرة :

- (الشرطي) : سيدي وصلت التقارير التي طلبتها.

- (السيد عماد) : أطلعني عليها بسرعة .

- (الشرطي) : أمرك سيدي ، عدد الاسماء كان عشر اسماء ، ثلاثة منهم من الفقراء الذين يسكنون الضواحي ولم يوجد لهم سجل اجرامي سابق كما تؤكد التقارير بأن جميعهم يملكون عائلات ويعملون بحرف يدوية في مشاغل قريبة من أماكن سكنهم في الضواحي ولا يسجل وجودهم في المدينة إلّا نادراً ، البقية هم أصحاب محلات تجارية ، ستة منهم قاموا بأنهاء معاملاتهم التجارية داخل هذه المدينة وسافروا خارجها ، فيما توفي الاخير قبل سنتين تقريباً ، وأؤكد بأن ما من أحد في القائمة يملك سجلاً اجرامياً سابقاً ، هذا كل شيء، بالنسبة للخمسة عشر شاباً الاخرين فقد قتلوا جميعاً في انفجار الديوان وليس منهم أحد على قيد الحياة الآن .

- (السيدعماد) : هذا حقا لايصدق .. حسنا شكراً لك , يمكنك أن تعود الى عملك , وأنتما أيها المحققان سنلتقي في مركزالشرطة غداً لنتابع البحث في هذه القضية الشائكة.

في صباح اليوم التالي توجه السيد عماد الى المشفى الذي يرقد فيه السيد منير وقد دخلت فكرة الأشباح الى عمق تفكيره وبدأت بالسيطرة عليه ، وما أن وصل الى غرفة السيد منير حتى باغته بسؤال مباشر :

- (السيد عماد) : هل الاسطورة صحيحة ؟ هل قتلتم زوجين والقيتموهما في بئر بعيد ؟ هل حقاً تطاردكم أشباحهم ؟

كانت تبدو على السيد منير علامات النعاس وكأنه مستيقظ من النوم حالاً وما إن سمع كلمات السيد عماد حتى ذهبت عنه آثآر النعاس وبدت الريبة على وجهه ..

- (السيد منير) : أيها الضابط هل تصدق مثل هذا الكلام ؟ هذه محض أساطير اخترعها بسطاء العقول ليمنعوا الاخرين من التعامل معنا تجارياً.

- (السيد عماد) : أريد تفسيراً واضحاً الان يا سيد منير ، فقد ضاق صدري بهذه القضية وبدأت تسبب لي الجنون ، اياك والكذب فقد أخبرني مراد صديق المتوفى أحمد بكل شيء ، أخبرني عن أفعالكم الدنيئة وعن ماضيكم الاسود وحاضركم الاسوء منه، حتى اللون الاسود .. ناصع جداً مقارنة بتاريخكم ، ولا بد لكم من دفع ثمن أفعالكم باهضاً جداً .

- (السيد منير) : لا أعرف من هو مراد ولا عن ماذا تتحدث ايها الضابط لكن انصحك أن تحفظ لسانك ، حتى مع كل الذي أصابنا فلازلنا أقوياءً وأصحاب النفوذ والسلطة في هذه المدينة ، ونحن قادرون على تنحيتك من منصبك بسهولة فلا تتجرأ علينا أكثر من ذلك .

- (السيد عماد) : فليكن في علمك أنّي لا أخشاكم ، وكل من سيقتل الآن هو من فعل أيديكم القذرة .. سنلتقي يوماً في ساحة المحكمة وبلا شك ستظهر الحقيقة .

وغادر السيد عماد فوراً نحو منزل مراد وسرعان ما وصله اليه وطرق الباب ، رد مراد الخائف " من هناك ؟ "

- (السيد عماد) : انا رئيس الشرطة عماد يا مراد افتح الباب .

فتح مراد الباب واستقبل السيد عماد في بيته ولكنالاخير باغته فور فتحه للباب " هيا ستأتي معي الآن الى قسم الشرطة " ..

- (مراد) : ماذا هناك يا حضرة الضابط هل جئت لتعتقلني ؟

- (السيد عماد) : ألم تقل أنك تريد الحماية من ذلك الشبح ؟ اذا اسمع كلامي ونفذ فقط ، ستذهب الى قسم الشرطة وتدلي بأقوالك وكل ما تعرفه عن عائلة أحمد ، هيا قبل أن يصل الشبح اليك فقد قتل الكثير ..

- (مراد) : هل قتلَ أحدٌ غير أحمد يا حضرة الضابط ؟

- (السيد عماد) : ألا تتابع الاخبار ، لقد فجر الشبح الديوان وقتل أكثر من تسعين شخصاً ، وقتل احد المحققين في القضية ، لن تستطيع الهروب منه يا مراد .. هيا اتبعني بسرعة .

وسحب السيد عماد مراد المنذهل الى السيارة وانطلق فوراً نحو مركز الشرطة وهناك أشرف على استماع وكيل النيابة العامة الى شهادة مراد وتم فتح تحقيق كامل بالحوادث ورفعت قضية رسمية ضد عائلة السيد منير ، ثم قام السيد عماد باصطحاب مراد مرة اخرى الى بيته، وفي الطريق دار حديث طويل بين مراد والسيد عماد :

- (مراد) : سيدي الضابط هل كنت جاداً عندما قلت بأن الشبح قتل تسعين فرداً من أفراد العائلة ؟

- (السيد عماد) : نعم لقد فعل ، وقتل صديقي المحقق فهمي معهم ، ومن ثم قتل حارس سكنه، ولا ندري من التالي .

وطار عقل مراد عندما سمع كلام السيد عماد

- (مراد) : لا أرجوك ابقى معي في منزلي سيقتلي الشبح .. سيقتلني .. أنا التالي .. انا التالي ..

- (السيد عماد) : لا تخف فأنت الآن شاهد ، و ستقوم فرق الشرطة بحمايتك ليلاً نهاراً فحياتك تهمنا الآن ، والآن اخبرنيبتفاصيل تلك الاسطورة القديمة عن العائلة ، هلّا فعلت ؟

- (مراد) : شكرا لك يا حضرة الضابط لن أنسى لك هذا المعروف أبداً ، ماذا تريد أن تعرف عن تلك الأسطورة بالتحديد ؟

- (السيد عماد) : كل شيء من فضلك ، أخبرني بكل ما تعرفه .

- (مراد) : بدأت القصة قبل أكثر من عشرين سنة تقريباً في المنطقة الجبلية البعيدة عن مدينتنا مسافة ثلاثة ساعات بالسيارة ، حيث جاء من مدينة بعيدة زوجان وسكنا أرضاً وبنيا منزلهما عليها، كان الفقر مطبقاً على أغلب السكان في تلك الفترة لذا يبدو أن الديون قد تراكمت عليهما

لصالح عائلة صديقي أحمد ، وفي النهاية لم يستطع الزوج سدادها .. فقتلوه هو وزوجته .

- (السيد عماد) : كيف قتلوهما ؟ هل تعرف التفاصيل ؟

- (مراد) : سمعت بأنهم قدموا ليلاً الى منزله واقتحموه ، ولم يجدوا سوا زوجته .. فقتلوها بعدة رصاصات في رأسها وتركوها لتنزف على ارض المنزل ، وعندما عاد الزوج أمسكوا به وحرقوه حياً ، ثم حملوهما ليلقوهما في بئر قديمة وجافة بعيداً في الجبال ، وهناك من يروي بأن في تلك اللحظة وحين غادر رجال العائلة سمع صوت بكاءٍ صادر من المنزل ، لم يجرأ أحد على الاقتراب من المنزل بالطبع ولكن البكاء توقف في الايام التالية ، بعدها تهدم المنزل على مر السنين و لم يعرف مكانه تحديداً ، وهذا الذي يطارد العائلة اليوم هو أرواح أولئك الزوجين الذين قتلا ظلماً.

رنّت كلمات مراد في مسامع السيد عماد وكأنها طلقات مسدس .. حتى أوقف السيارة فجأة ونظر الى مراد :

- كيف قتل الزوجان ؟ أعد ما قلت مرة أخرى .

- (مراد) : الزوجة قتلت برصاصات في الرأس ، والزوج حرق حياً حتى تفحم .

وقعت هذه الكلمات مرة اخرى على مسامع السيد عماد بشكل أقوى من سابقتها ، هل يمكن أن يكون ما يحصل اليوم تجسيداً لما حصل في الماضي ؟ هل قتل أحمد برصاصات بالرأس كان انتقام تلك الارواح الغاضبة ؟ وهل استخدام الوقود في الديوان .. نعم تلك الاحداث تبدو مترابطة جداً مع الاسطورة ، بادر السيد عماد بسؤال سريع اخر :

- هل قتلت الزوجة بطلقات بالقلب او بالجسد وشوهت جثتها يا مراد ؟

- (مراد) : لا سيدي لا أذكر أن الاسطورة قالت ذلك .

" وما حاجتي الى التأكد بعد ما سمعته ، حقاً هذا يفسر تماماً كيف يظهر القاتل ويختفي ويقتل ويفعل دون أن يلمحه أحد ، مع أن ذلك غير منطقي ولن يقبل به أحد من المدينة لكن هو التفسير الوحيد الذي أملكه حالياً وكل الادلة تشير اليه .. يا إلهي لكن المصيبة ليست في هذا فقط .. أنا لا أعرف طريقة لايقاف الاشباح ، ولست متأكداً أنّ ثمة طريقة لإيقاف الأشباح أصلاً " (السيد عماد) .

- (السيد عماد) : وكيف يمكن للأسطورة أن تنتهي يا مراد ؟ أقصد كيف نوقف هذه الاشباح ؟

- (مراد) : سيدي لم تذكر الاسطورة شيئاً عن ايقاف هذه المخلوقات ، لكنني متأكد بأنها لن تتوقف حتى تقضي على كل العائلة ، بعدها ستنتهي هذه اللعنة التي حلت بالمدينة .

أوصل السيد عماد مراد الى بيته وانطلق عائداً الى قسم الشرطة ليلتقي بالمحققين حسام وسامي مرة أخرى ويطلعهما على ما دار بينه وبين مراد ، وبالتأكيد كان رفض نظرية الأشباح قاطعاً تماماً

- (المحقق سامي) : ومن يصدق بقصة الأشباح يا سيدي الرئيس ، هل ستقبل وكالات الاعلام بذلك ؟ وهل سنترك هذه القضية ونترك المجرم ليكمل جرائمه بحجة أنه شبح ! على هذه الحال سيفعل كل المجرمين ما يحلو لهم من جرائم ويألفون الأساطير حول جرائمهم لأخفائها ، وتضيع المدينة بين المجرمين والخرافات ، لا لا هذا غير مقبول أبداً .

- (المحقق حسام) : سيدي أعتقد أن لدّي ما يمكنه أن يغيّر تفكيرك ، لكن أرجو ان تسمح لي بالإطلاع على تقرير الطب الشرعي الخاص بالضحية الاولى وارجو الاطلاع على صور مسرح الجريمة ايضاً ، وسنلتقي غداً لأخبرك بما توصلت اليه فلدي الكثير من الاشياء للبحث فيها اليوم .

- (السيد عماد) : تبدو كالغريق الذي يتمسك بقشة يا حسام ، لا بأس لك ذلك ، يمكنك أخذ ملف قضية أحمد بأكمله فلم يعد يهمني ، وحتى

ملفات القضايا الثلاث لم تعد تهمني .. فقد تيقنت بأن من وراء هذه القضايا ليس بشراً .

- (المحقق حسام) : سيدي أعتقد بأنك بحاجة لبعض الراحة فقد أرهقتك هذه القضية ، ما رأيك أن تأخذ بقية اليوم اجازة تريح بها أعصابك المتعبة ؟

- (السيد عماد) : ربما أفعل ذلك ، شكرا ايها المحقق .

لم يكد ينهي السيد عماد جملته مع المحقق حسام حتى رن هاتفه وكان المتصل هو السيد الوزير مرة أخرى :

- (الوزير) : ماذا تفعل يا عماد ؟ هل تحاول اثارة المتاعب ؟ ألن تكتفي بقضيتك وتعمل على حلها بدلاً من العبث مع الاخرين ؟

- (السيد عماد) : ولكن سيدي ما الذي فعلته ؟

- (الوزير) : أبداً .. لمتفعل شيئاً ! قمت بفتح تحقيق حول خرافات عن عائلة تعتبر منكوبة في الوقت الحالي ، وأتيت بشاهد ليوثق أفعالها و تسببت برفع قضية رسمية ضد السيد منير ، هذا ما كان ينقص الداخلية اسمعني جيداً يا عماد هذه القضية ستنسى أمرها تماماً فقد أمرت بتجميد ملفاتها وعدم فتحها، لا نريد إثارة المتاعب في المدينة قبل القبض على المجرم الهارب ، أمسك أولاً بذلك المجرم ثم أرفع ما شئت من قضاياً لكن الى ذلك الحين لا تفكر في فتح الموضوع مرة أخرى ، سيتهموننا بالتقصير الأمني و اختلاق الاعذار لتّغطية على فشلنا في الوصول الى المجرم إن وصلت هذه القضية للأعلام ، هل فهمت ما قلته لك ؟.. وأغلق الخط .

كان هذا الاتصال بمثابة الحد الاخير في رأس السيد عماد حيث أحمرّ وجهه غضباً وألقى الهاتف من يده وصرخ في كل من حوله : " تقصير أمني ! وما علاقتي انا بذلك ! أليست أفعال أولئك الحمقى من أوجدت هذا الشبح المتوحش ! حل القضية لن يكون سوا بإعتقال العائلة و رد الحقوق لأصحابها .. حينها فقط ربما يهدئ القاتل و يترك أفعاله

الاجرامية ، هذا أن كان القاتل بشراً مثلنا أصلا " ، ثم سقط السيد عماد على كرسيه وقد أنهكه التعب ولم يقوى على الوقوف فأصر جميع أفراد قسم الشرطة على أن يكمل هذا اليوم في بيته ليستريح ويستطيع اكمال هذه القضية .

حل المساء و تلبدت السماء بالغيوم وغمر الضباب المدينة بأكملها ، كانت الأجواء الشتوية ما زالت سائدة في ذلك الوقت من السنة على عكس اجواء الغضب التي سادت عقل السيد عماد الراقد في منزله بين زوجته وطفلتيه ، لم يذق بطلنا طعم الراحة منذ أن ظهر هذا الشبح في المدينة ليأرّق سكانها ، ولكنه حتى هذه اللحظة مجهول النوايا تماماً ، فهدفه الحقيقي ليس معروفاً بعد ، وربما كان سبب انتقامه من هذه العائلةليس ذا أهمية كبيرة فكل شخص في المدينة تقريباً يملك سبباً ليفعل ما يؤذي العائلة ، شعر السيد عماد برغبة باستنشاق الهواء فصعد الى سطح منزله، هناك أستنشق الهواء النقي وشعر بانتعاش وأضواء المدينة تنير الافق من حوله وقد غطى الضباب بعضها ، أشعل سيجارته و جلس يتأمل ويفكر بما سيفعله، وذكرياته تأخذه الى الماضي القريب برفقة صديق عمره فهمي " ترى ماذا كنت ستفعل يا فهمي لو كنت مكاني الآن ، كم أتمنى لو كنت معي " تمتم بهذه الكلمات الصادقة ، وفجأة .. صوت تلقيم المسدس

- كنت أنتظر بفارغ الصبر هذا اللقاء أيها الضابط ، لا تتحرك ...

تصلب السيد عماد مكانه وأخذ جسده يرتعش بكامله ، لم يكن شعوراً عادياً بالخوف اذ لم تكن المرة الاولى التي يواجه فيها مجرماً وجهاً لوجه ، لكن هذه المواجهة مختلفة تماماً ، فربما يقف خلفه شبح حقيقي هذه المرة ، وبالتاكيد فهذا الذي يقف خلف هو قاتل صديقه .

- (السيد عماد) : كيف وصلت الى هنا ؟ هل أنت شبح حقاً ؟ ولماذا قتلت صديقي ؟ أجبني هيا .

- يفضل أن تبقى بعض الأسئلة بلا أجابات أيها الضابط .

- (السيد عماد) : وما الذي تريده مني اذا ؟ انا لست من تلك العائلة كما تعلم .

- أعرف جيداً أنك لست منهم ، فلو كنت منهم لكنت قتلتك دون تردد ، لكنني أحمل رسالة اليك ، عليك قتلهم جميعاً ، فربما فقدت صوابي وقتلت الجميع معهم .

- (السيد عماد) : لست مجرماً مثلك أيها الغادر ، لقد جعلتني أقتل صديقي وسأجعلك تندم على ما فعلته ...

واستدار السيد عماد ليواجه القاتل الشبح مباشرةً وجهاً لوجه ، وما إن تقابلت الوجوه حتى تغير لون وجه السيد عماد مباشرةً الى الأصفر و التصق بالجدار خلفه :

- يا إلهي ما هذا ؟ ، أنت لست بشراً .. (السيد عماد)

" تماماً كما وصفها صديقي فهمي ، عيون حمراء واسعة تتوسطها حدقات سوداء غاضبة ، ثم وجه أسود قد لطخته الدماء حتى سالت من فمه ، تلف جسده سلاسل حديدية سوداء ضخمة من أعلى كتفيه حتى قدميه ، ومع هذا يبدو رشيق الحركة قوياً ، وفوق كل هذا الرعب يحمل مسدساً كبيراُ في يده موجهاً نحو وجهي مباشرةً .. "

- هل شعرت بتلك الرغبة بالانتقام لصديقك أيها الضابط ؟ تلك الرغبة نفسها .. أحيا بها أنا ، أنا أتغذى على الحقد القديم ، والانتقام هو مبلغ وجودي .

- (السيد عماد خائفاً) : هل الاسطورة صحيحة ؟ هل قتلت العائلة الزوجين ؟ وهل تنتقم أنت لأجلهما ؟

بدت علامات الغضب على الشبح حين سمع كلام السيد عماد ، فما كان منه إلّا الاقتراب منه والامساك بعنقه بيديه الضخمتين.

- نعم انها صحيحة ، ولم يكتفي أولئك الاوغاد بذلك بل قتلوني مرة أخرى بعدها ، اسمع ايها الضابط .. لا يزال لدي الكثير الكثير من المفاجئات ،

وما أخرجت من جعبتي ليس سوى البداية ، سيندم الجميع على صمتهم كل هذه المدة عن أولئك القتلة ، و سأحرق كل من يقف في وجهي ويحاول منعي من اكمال ما بدأت به ، بعد فترة وجيزة لن يبقى أحد من العائلة حياً .. سأقتلهم جميعاً ، هل تفهم ذلك ؟ هذه رسالتي اليك ، عليك ايصالها لهم، واحذر ان نلتقي مرة اخرى .. هل فهمت ؟

وضرب الشبح رأس السيد عماد فأفقده وعيه واستلقى على أرضية السطح فيما أختفى الشبح مرة أخرى وكأنه لم يكن .

لحسن الحظ فقد صعدت زوجة السيد عماد الى السطح لتفقد زوجها بعد أن طال غيابه على غير عادته ، حينها وجدته على الأرض ورأسه ينزف فأسرعت بطلب الإسعاف .

نقل السيد عماد الى المشفى وأجريت له الاسعافات اللازمة وقد وجدت آثرٌ لحروق حول عنقه ، كما وجدت آثار كدمة قوية في رأسه كادت تكسر جمجمته ، بالطبع لم يشاهد أحد شيئاً كهذا من قبل ، ثم من يتجرأ على اقتحام منزل السيد عماد رئيس شرطة المدينة وضربه بهذا الشكل ! حضرت فرق من الشرطة واخرى من الصحافة لتكتب عن الحادثة ، وفي اليوم التالي سطرت حادثة اصابة رئيس قسم الشرطة السيد عماد أكبر العناوين في الصحف المحلية ، امّا السيد عماد فقد كانت المواجهة مع القاتل الشبح قد أرهبته لدرجة كبيرة حتى أنه فكر في تقديم أستقالته بجدية لولا اصرار رجال الشرطة على ثنيه عن ذلك ، ثم سيطر الرعب على المدينة بعد ما طلب من السيد عماد وصف القاتل الشبح لوسائل الاعلام ، حيث تحدث عن أدق تفاصيله التي رآها في تلك الليلة الضبابية ، وبدى أن كلمة شبح بدأت تأخذ منحاً جديداً في قصتنا ، فلنتابع الأحداث ..

****

بعد السماح لسّيد عماد بمغادرة المشفى تتوالا الأخبار السيئة بالوصول اليه حيث تلقى خبر وفاة مراد الشاهد الوحيد في قضية العائلة وكان ذلك نتيجة لنوبة قلبية أصابته ، كان تقرير الطب الشرعي واضحاً بالنسبة لمراد ، فقد أصابه الذعر فجأة وأنطلق نحو الشارع يركض كالمجانين ، حاول رجال الشرطة الموجودين بالقرب من منزله الامساك به وتهدئته ، لكن الاوان كان قد فاتهم و قضت روحه الى أعماق السماء ، لم تترك خلفها الا جسداً مليئاً بالاجرام ، لكنها تبقى روحاً تائبة ، ولعل توبتها تنجيها مما ستلقاه ، بالرغم من أنه كان يستحق العقاب كباقي افراد العائلة الّا أنه كان سيقدم الكثير للعدالة ، ولم يكتب القدر له التكفير عن أخطائه فمات قبل ذلك ، عند سماع السيد عماد خبر وفاته قال " شمعة الشر التي تحولت لمنارة الحق .. قد غاب ضوءها في هذا اليوم دون ان ترشدنا الى نهاية طريقنا " .

ورد اتصال من المحقق حسام الى السيد عماد يطلب فيه من الجميع الحضور الى مركز الشرطة حالاً ، وعندما وصل السيد عماد وباقي أفراد الشرطة الى المركز بادرهم المحقق حسام :

- (المحقق حسام) : ورد اتصال من ذاك الرقم المشبوه سيدي ، أنه القاتل .

- (السيد عماد) : وما الذي يريده ؟ ماذا قال لك أخبرني بسرعة ؟

- (المحقق حسام) : لم يقل شيئاً سيدي ، اتصل وأغلق الخط فقط !

- (السيد عماد) : فالتستعد الفرقة الفنية ، أريد تحديد موقع المتصل الآن ، ناولني الهاتف ايها المحقق ، فلا بد أن يتصل مرة أخرى .

وقد كان السيد عماد على حق فما إن امسك الهاتف الا وقد أخذ يرن والمتصل كان الرقم المشبوه نفسه .

- (السيد عماد) : هل سمعني عندما قلت سيعيد الاتصال ! لا مشكلة هل أنتم مستعدون لتحديد الموقع ؟ سأجيب..

فتح السيد عماد الخط صارخاً : أيها الشبح إن كنت شجاعاً بما فيه الكفاية لتتصل على رقم الشرطة فتشجع و أخبرني بمكانك الآن ..

لم يكمل السيد عماد جملته حتى باغته صوت طفلة صغيرة تصرخ باكية " أمي .. أمي " صدم الجميع بهذا الصوت ونظروا الى السيد عماد الذي ظل صامتاً ، ثم جاء صوت القاتل " أعتقد بأن هذه الطفلة التي بين يدي من أبناء تلك العائلة ، هل ستأتون لأنقاذها يا حضرة الضابط ؟ هي بأمان هنا ، لا تتأخر في المجيئ .. وحالما تصل سأرشدك بنفسي .. وداعاً " ، وأغلق الخط .

- هل حددتم موقع المتصل ؟ (السيد عماد)

- نعم سيدي انه في مكان في الغابة الشرقية للمدينة ، يبعد ثلاث ساعات من هنا (أحد عناصر الشرطة) .

ثم اتصال أخر يصل الى قسم الشرطة ، أنهما ذوو الطفلة المخطوفة (فاتن) يأكدان بأن ابنتهما ذات الثمانية سنوات غادرت نحو مدرستها صباحاً لكنها لم تعد ، وقد أكدت المدرسة بأنها لم تصل أبداً اليها ، كان من الصعب على السيد عماد إخبارهما بالحقيقة وأن طفلتهما في يد سفاح لا يعرف الرحمة ، لكن كان لا بد من ذلك ، وما أن عرف ذوو الطفلة حتى استشاط الأب غضباً : " هذا يكفي لقد تجاوز ذلك القاتل حدوده كثيراً ولا أحد قادر على التصدي له ، ايها الضابط ستشكل العائلة هذه الليلة فرقة مسلحة للوصول اليه وقتله .. " ، أسرع السيد عماد بأخباره بأنهم قد حددوا موقع الطفلة ولكن الأب الغاضب لم ينتظر وأغلق الخط ، لم يكن بيد السيد عماد حيلة ، هو يعرف جيداً بأن هذا لو حصل فسيقضي القاتل عليهم جميعاً بكل سهولة ، لربما هو ينتظر هذه الفرقة أن تتشكل أصلاً ليجهز على كل من يشترك فيها .

أصدر السيد عماد أمراً بتحرك كل القوات نحو موقع القاتل الذي تم تحديده ، وقد أصبح موقناً بأن هذا القاتل ليس شخصاً عادياً أبداً بل ليس بشراً فعلاً ، وأنه يتعامل مع مخلوق جاء من خارج هذا العالم وبين عينيه هدف الانتقام واضح كل الوضوح ، في قلبه يتجسد الشر المطلق ،

يتحرك في الظلام كأنه جزء من ظلاله ، لم يفهم أحد شيئاً من رسائله لكن كل من استلمها أنتهى الى الموت سريعاً.

في أقل من ساعة كانت مروحيات الشرطة وسياراتها تمشط الغابات في المنطقة الشرقية باحثةً عن أيّ أثر يقودها الى الطفلة المخطوفة ، أسطول كامل من رجال الشرطة يبحث في الغابة الواسعة، ثم بعدها تلتقط المروحية دخاناً آتياً من أحد أطراف الغابة ، بلا شك أنها الاشارة التي أخبر بها المجرم ، انطلق الجميع نحو مكان الحريق ليجدو منزلاً مشتعلاً ، لم يكن لدى أي من رجال الشرطة شك بأن الطفلة داخله لذا أقتحموه بلا تردد مخترقين هذه النيران ، ولكن لم يوجد في المنزل أحد ، الطفلة لم تكن بداخله ولا حتى بجواره ولا في أي مكان من هذه الغابة الواسعة ، وبعد أكثر من ساعتين من البحث وصل اتصال الى السيد عماد من ذوي الطفلة يخبرانه بأن ابنتهم فاتن قد عادت الى البيت ، ولم يلحق بها أي اذى ، لم يصدق السيد عماد ما سمعه فطلب من الاب وابنته أن يحضرا الى مركز الشرطة حالاً لتّأكد من سلامة ابنتهما .

وصلت الطفلة مع والديها الى مركز الشرطة وقابلت السيد عماد :

- (السيد عماد) : مرحبا يا فاتن ، أين كنتي يا صغيرتي ولماذا لم تذهبي الى المدرسة اليوم ؟

- (فاتن) : لقد ذهبت مع صديقتي (مي) يا حضرة الضابط .

- (السيد عماد) : مي ؟ هل هي في مثل سنك ؟

- (فاتن) : لا سيدي انها أكبر مني بعشرين عاماً على الأقل .

- (السيد عماد) : وأين ذهبتما ؟

- (فاتن) : لقد اقترحت أن توصلني بسيارتها الى المدرسة لكنها لم تفي بوعدها بل أخذتني الى مدينة الالعاب .

- (السيد عماد) : وماذا بعد ؟

- (فاتن) : لقد كنت سعيدة كثيراً بقضاء يومي معها في مدينة الالعاب ، لكنها اختفت هناك فجأة وتركتني وحدي فخفت كثيراً واتصلت بأبي من أحد زائري المدينة .

- السيد عماد موجهاً كلامه للأبوين : " هل تعرفان هذه الشابة التي تتحدث عنها فاتن ؟ أقصد مي " .

- (الام) : التقيتها ذات مرة وهي شابة لطيفة ، فاتن حدثتنا عنها كثيراً وقد حذرتها من الغرباء ولكنها عنيدة ولا تسمع كلامنا ، نحن نعتذر على ازعاجك سيدي.

- (السيد عماد مندهشاً) : لا يجب أن تذهبي مع الغرباء مجدداً يا صغيرتي ، ثم تمتم بعدّة كلمات " يبدو بأن روحنا الشريرة تملك مساعدين "، على كل حال الحمدلله على سلامة ابنتكما يا سادة ، يبدو أن الاتصال الذي وردنا لم يكن يقصدها وأعتذر عن هذا الخطأ ، أرجو أن تحتفظوا بهدوئكم ولا تقترفوا أي أفعال متهورة كالتي فكرت بها يا سيدي كتشكيل فرقة للامساك بالقاتل ، هذا عملنا وسنقوم به على أكمل وجه باذن الله .

- (الأب) : لا عليك سيدي الضابط ، لقد كنت غاضباً حينها ولم أعي ما أقول ، أعتذر بشدة .

- (السيد عماد) : لا عليك ، والانيمكنكم الانصراف .

بعد مغادرة الابوين مع الطفلة الصغيرة جلس السيد عماد على كرسيّه وهو في منتهى الدهشة لما حصل " لماذا يتصل القاتل به ويخبره بأنه خطف احد اطفال العائلة ؟ هل يمكن أن يكون قد اختطف طفلة أخرى حقاً ؟ ولكن لم تعثر فرق البحث عليها ولم تجد أي أثر للقاتل ، حسنا لكن بلا شك ليست فاتن المقصودة بذلك الاتصال ، فقد تم تحديد موقع المتصل بدقة وأجهزتنا لا تكذب ، الاتصال كان وارداً من الجهة الشرقية من المدينة .. تحديداً من الغابة هناك ، ومدينة الالعاب في الجهة الغربية وليست بعيدة كثيراً من هنا ، وهل للشابة (مي) علاقة بالموضوع ؟ لا

لا يمكن .. القاتل في الشرق و الشابة في الغرب لا يمكن ذلك ، رأسي بدأ يوجعني من هذه القضية ، ترا ما الذي يخبئه القاتل لنا الان ".

قاطع تفكير السيد عماد رنين الهاتف ، نعم لقد كان المجرم مرةً أخرى يتصل ، يظهر على شاشة الحاسوب موقعه بدقة أيضاً ، أنه في منتصف تلك الغابة ، نعم الجهاز لا يكذب وهو جهاز شرطة متطور ويستحيل التلاعب فيه أبداً ، هذا الشخص الذي يتصل يقف بين رجاله في هذه اللحظة ولكن لا أحد منهم يراه ، هل حقاً هذا الشبح ليس بشراً ! فتح السيد عماد الخط وصرخ غاضبا :

- (السيد عماد) : هل تعبث معنا أيها الغبي ؟ ما الذي تريده الان ؟ الطفلة وصلت لأهلها بسلام .. والان ماذا ستقول ؟

- انا تركتها تذهب ايها الضابط ، فقد حصلت على ما أردته تماماً ، نعم حصل ما خططت له وانتظره طويلاً ، الآن دعني أسمعك هذا الصوت العذب لصديق قريب لك ، انقطع الصوت قليلاً ، ثم جاء مرة أخرى ..

معك حق ايها الشبح انه صوت مألوف حقاً ، صوت أعرفه كل المعرفة ، صوت دخل المشفى ولم أعرف متى خرج ، هنيئاً لك فقد استطعت حقاً ابهاري بأفعالك وذكائك الخارق ، أوهمتنا بخطف الطفلة لتبعدنا وتصرف نظر كل العائلة وسكان المدينة عن مخططاتك ، لقد كان صوت السيد منير ، رئيس العائلة يصرخ مستنجداً " أنقذوني .. أنقذوني " تبعه صوت أسوء ضحكة شريرة مرّت على مسامع السيد عماد ...

****

سحب السيد عماد جهازه اللاسلكي فوراً واتصل برجاله في الغابات : " الطفلة عادت لأهلها بسلام يا رجال ، الان ابحثوا عن السيد منير ، انه

هو المختطف الحقيقي ، موقع المجرم هو نفسه ، انه بينكم فأبحثوا عنه جيداً ، ابحثوا في كل مكان ، حياة الرجل في خطر .. "

صدقت ايها الضابط ، حياة هذا الرجل في خطر حقيقي ، فذلك المجرم لن يرحمه أبداً ، ولن يطلق سراحه حياً مطلقاً ، فقد حاول قتله في الديوان سابقاً ، ولكن يبدو بأن الحظ وقف الى جانبه في ذاك اليوم ، أمّا الآن فلم يعد الحظ يجدي نفعاً بعد أن صار المصير محتوماً .

لم يبقى مكان لم يبحث فيه عناصر الشرطة ، ولكن لم يعثر أحد على شيء مفيد ، لم يعثروا على السيد منير ولا على القاتل ولا على أي دليل حتى الآن ، لحسن الحظ لم يتأخر القاتل عليهم كثيراً ، فعاود الاتصال هذه المرة لكن من رقم اخر ، لم يشك السيد عماد للحظة بأن المتصل هو القاتل ، وقد غير الرقم ليخفي موقعه مجدداً ، ليست مشكلة كبيرة فالجهاز قادر على كشف موقعه بسرعة ، ما عليه إلّا الرد ، وكان ذلك سريعا ..

- (السيد عماد) : أعرف أنه أنت ، أين هو الرجل ، وما الذي تريده منه؟ هل تريد مقابلاً لأطلاق سراحه ؟

- إن أردته تعال وأحضر معك عائلته ، لم يعد هناك حاجة لاغلاق الخط الآن ، يمكنك تحديد موقعيبكل هدوء، هيا ايها الضابط.

ظهر فوراً موقع المتصل على الحاسوب ، وقد انصدم السيد عماد بالموقع الجديد ، انه في الجزء الاخر من المدينة ، كيف انتقل من موقع في الشرق الى موقع في الغرب في أقل من دقيقة ! هل يوجد أكثر من مجرم ، وهل تلك الفتاة (مي) على علاقة به حقاً ، سحب السيد عماد اللاسلكي مجدداً ، لكنه كان متردداً جداً هذه المرة ، كيف يخبر رجاله بالانطلاق من أقصى اليمين الى أقصى اليسار بهذه البساطة وبعد كل هذا البحث في ذاك الموقع ، لا شك أنهم لن يصدقوه ، لكنه استجمع شجاعته مجدداً و نادى عبر اللاسلكي " الى جميع القوات في موقع البحث و جميع المواقع داخل المدينة ، الى كل رجال الشرطة الذين يتلقون هذا البلاغ ، وردنا الان اتصال من القاتل وقد تم تحديد موقعه بدقة ، انه في

الجزء الغربي من المدينة ، الغابة الغربية ، على الارجح في منزل اخر ومعه رهينة ، يبدو أنه ينوي القتال هذه المرة فخذوا حذركم ، علىجميع القوات التوجه نحو الموقع المذكور بأقصى سرعة ممكنة ، الحفاظ على حياة الرهينة له الاولوية ، ثم الامساك بالمجرم حياً او ميتاً .. انتهى " ، وأخذ السيد عماد الهاتف مرة أخرى و قد كان المجرم لا يزال على الخط ينصت الى النداء عبر اللاسلكي ، فوجّه اليه سؤالاً مباشراً :

- (السيد عماد) : لماذا أنا ايها الشبح ؟ لماذا وصلت الى بيتي في الليلة الماضية ، ولماذا قتلت صديق طفولتي الوحيد ؟

- انا لم أقتل صديقك أيها الضابط ، أنسيت ؟ انت من قتله ، لم أجبرك على الضغط على زر تلك الولّاعة ، ومن الجيد انك ذكرتني فقد كنت أنوي الاعتذار عن زيارتي المفاجئة ، كنت محتاجاً لتحدث لبعض ضحاياي من هاتفك ، منير و مراد .. أشكرك جداً يا حضرة الضابط فلولا اندفاعك وشجاعتك وهاتفك طبعا لما كان مراد ميتاً ولا منير كان في قبضتي الان.

نزلت الكلمات على السيد عماد وكأنها صاعقة ، مفاجئة نارية جديدة يفجرها الشبح في وجهه ، ولم يكن من السيد عماد إلّا أن سحب مسدسه وأخذ الهاتف وانطلق نحو الموقع القاتل بأقصى سرعته حتى كادت سيارته أن تطير من سرعتها وقد احمرّ وجهه غضباً مما سمعه ، وبعد ما يقارب النصف ساعة من القيادة كان السيد عماد اول الواصلين للمكان ، وبدى جلياً أين يختبئ ذلك المجرم ، مبنى من اربعة طوابق يبدو غير مكتمل البناء ، يتوسط الغابة وتحيط به الاشجار العالية من كل مكان ، له طريق ترابي واحد يخترق الغابة مباشرة نحو المدخل الرئيسي للمبنى القديم ، يبدو أنّ المبنى قديم البناء والتصميم ايضاً ، فابوابه ونوافذه الكبيرة والمزخرفة تحكي قصص ماضٍ قد انقضى منذ وقت طويل جداً ، كانت شمس ذلك اليوم تشرف على المغيب والظلام سيعم قريباً ، الباب الحديدي للمبنى كان مغلقاً باحكام فحاول السيد عماد فتحه بالقوة ، ولكن لا فائدة ، فالباب أثقل من أن يفتحه شخص واحد ، تراجع السيد عماد للخلف ونادى بأعلى صوته ، أيها الشبح انا هنا ، هيا افتح الباب .

لم تمضي سوا لحظات حتى وصلت المروحيات و سيارات الشرطة ، وقد تتابع وصولها على أكثر من ساعة حتى ضج المكان بالشرطة التي حاصرت المبنى بالكامل ، ولم يطل الوقت أيضاً حتى وصلت سيارات تعود لعائلة السيد منير وقد تلقوا اتصالاً منه وأخبرهم بضرورة القدوم فوراً ، لم يستطع رجال الشرطة منعهم من التقدم نحو المبنى لكن على الاقل إعطاء الاولوية للشرطة بالدخول ، واعطى السيد عماد أمراً للمروحيات بالقيام بإنزالٍ على سطح المبنى ولكن الرد جاء سريعاً من المروحيات بعدم قدرتهم على انزال الجنود هناك ، فالسطح بأكمله عبارة عن كتلة من النار ، لا مجال لأي شيء للوصول الى الأعلى .. رفع السيد عماد رأسه ليرى الدخان يتصاعد بجنون من سطح المبنى .

- (السيد عماد) : مستحيل ، ذلك الشبح يحسب حساباً لكل شيء ..

لم يكن هناك أي سبيل آخر إلّا اقتحام المبنى من البوابة الرئيسية له ، او من نوافذه التي تحيط بها القضبان الحديدية ، فقرر رجال الشرطة تفجير الباب الضخم واقتحام المبنى ، في هذه اللحظات لم يحرك القاتل ساكناً ولم يتفوه بأي كلمة على الهاتف ، وكذلك فعل السيد عماد ، يبدو بأن الخير والشر يتفقان على تلك النقطة ، فعند المواجهة .. لا فائدة من أي كلمة تنطق.

اقتحمت قوات الشرطة المبنى يتقدمهم السيد عماد ، المبنى القديم كان عبارة عن متاهة كبيرة من الداخل ومظلماً بالرغم من أن الشمس لم تغب بعد ، منظر أوحى للجميع بأن الشر يستوطن هذا المكان منذ الأزل البعيد ، وأنهم قد أقتحموا عمق الجحيم فعلياً ، كان العثور على السلالم الموصلة لكل طابق انجازاً كبيراً بالنسبة لهم ، وقد تم تفتيش كل غرفة من الطابق الاول ولا أثر لأحد هنا ، أخذ السيد عماد هاتفه مجدداً وتحدث " أين أنت ، ها قد وصلنا " فرد القاتل بصوت بارد " أصعد ، ستجد ما تبحث عنه في الاعلى " تقدمت كل القوات نحو الطابق الثاني وتم تفتيشه ومن ثم الثالث ولم يعثر على شيء فيه ومن ثم وصوا الى الطابق الاخير ، كان الظلام قد احكم قبضته على المكان ولم يمضى الا دقائق على غياب الشمس ، لم يكن الطابق متاهة مثل الثلاثة قبله ، بل كان يبدو جلياً بأن

القاتل يريدهم أن يصلوا الى غرفة محددة فيه ، جاء صوت القاتل على الهاتف " تقدم أيها الضابط ،هيا دعني أكمل ما بدأته" ورنّصدى صوت انطلاق الرصاص في أرجاء المكان ، امسك الجميع بأسلحتهم وانطلقوا نحو مصدر الصوت والذي صدر من غرفة مغلقة بباب عادي ، ضربه السيد عماد بقدمه فانكسر الى الداخل كاشفاً عن جثة مشنوقة ملطخة بالدماء .

يبدو جلياً بأن السيد منير لم تكن حاله أفضل من حال الضحية الاولى أحمد ، فقد طالت الطلقات رأسه و قلبه و باقي انحاء جسده عشوائياً ، وكحال الجريمة الأولى .. فالمسرح متشابه تقريباً ، لم يوجد في الغرفة أحد ، و ظروف الرصاصات كالعادة .. لم يعثر عليها في الغرفة ، كل ما كان موجوداً هو صندوق أسود صغير أسفل الضحية ، سحبه السيد عماد برفق وفتحه ليجد فيه ما ستكون أخر في مفاجئة في هذا الجزء من روايتنا و أكثر مفاجئات الشبح صدمةً .

سحب السيد عماد الصندوق الاسود وفتحه ليعثر بداخله على هاتفين متقابلين وملاصقين لبعضهما ، تمتم السيد عماد باستغراب " ما هذا ؟ " واذا بصوته يخرج من الهاتف الاول ، صعق السيد عماد بما سمعه ، واذا بصوت القاتل ينطلق من الهاتف الثاني "قد وجدته أخيراً ".." نعم ، الان فهمت .. الان فهمت كيف استطاع الهروب من جهاز التعقب في قسم الشرطة ، الان عرفت كيف يفعل ذلك ، الجهاز لم يخطئ في تحديد الموقع ، بل حدد موقع الهاتف الاول ، فيما غادر هو منذ وقت طويل و تحدث عبر الهاتف الثاني .. "

أمسك السيد عماد بالهاتف الثاني : " أيها الذكي ، حقاً لقد تفوقت على الجميع بدهائك وانا اعترف لك بذلك ، أعتقد الآن انني اتحدث اليك مباشرةً بلا أي أجهزة أخرى الآن ، أليس كذلك !.. "

- (الشبح) : لقد قتلوني ثلاث مرات في الماضي ، انا لن أموت مجدداً بعد الآن ، وانتقامي اليوم سيكتمل ، لقد حان وقت الندم .. أجل .. لقد حان .. <u>ستندمون .. وسيدفع جميعكم الثمن</u>. وأغلق الخط ..

القى السيد عماد الهاتف من يده وضرب الصندوق بقوة حتى طار من النافذة ، ليجد أسفله عداداً رقمياً يعد تنازلياً (10 ، 9 ، 8 ، 7 ...) بلا شك انها قنبلة ، اللاسلكي هذه المرة لم يكن في يد السيد عماد ليعلم الجميع بضرورة المغادرة فصرخ بأعلى صوته " غادروا المكان فوراً انه فخ .. انها قنبلة .. " وأسرع الجميع نحو الأسفل ،لكن هيهات .. فقد دقت ساعة الانتقام فعلاً ، وضرب الشبح ضربته الأخيرة والمدوية جداً فقد فجّر المبنى بسلسلة من القنابل شديدة الانفجار ، كما فجر الطريق الوحيد نحو المبنى بقنابل مشابهة ،وأشعل الغابة بقنابل اخرى مسبباً أفظع جحيم للموت، من بقي في المبنى قتل فوراً جرّاء الإنفجار ، ومن كان خارجه قتله الحريق الهائل الذي ابتلع الغابة ، لم يكن هناك أي مجال للهرب من هذا المصير المحتوم ، وبالرغم من كل هذا لم يظهر القاتل أيضاً وبقي شبحاً خفياً وغامضاً جداً لدرجة مستحيلة ، وقد حقق فعلاً إنتقاماً حقيقياً بعمليته هذه.. فقد قتل السيد منير بشكل مباشر ، وألحق به أكثر من مئة من عائلته ، اضافة الى ما يقارب السبعين من رجال الشرطة الأوفياء .. كان من بينهم المحقق سامي الرجل الشريف والمحقق الذكي الذي وهب لهذه القضية كل وقته وجهده ، وقد لحق بالمحقق فهمي من قبله .

في هذه الكارثة التي هزت العالم بأسره ، يبقى سؤال المحير بلا أجابة .. من يفعل كل هذا ؟ بل من يقدر على فعل كل هذا ؟ هذا الانتقام الجنوني لم يسبق أنّ حصل في التاريخ ، ترى ما الذي فعله حقاً أفراد هذه العائلة ليقابلوا هذا الشيء الخارق ، وهذا المصير المرعب .

****

نهض من بين النيران والركام البطل الشجاع (السيد عماد) ، كعنقاء نفضت جناحيها من الرماد ، لم تزده جروحه وآلآمه إلّا أصراراً على المتابعة ولن يتوقف حتى ينهي ما بدأه ويوقف هذا القاتل ، يقف الى

يمينه (المحقق حسام) عالي الهامة ، يعاهده بكل إخلاص .. على المضي قدماً نحو القضاء على هذا الحقد الأسود حتى وإن دفع هو ايضاً حياته ثمناً لذلك ،ومن الأفق البعيد .. يقف أكبر عقل إجرامي على وجه الارض ، يراقب بهدوء ما يحصل .. ولا تزال عيناه الممتلئة شراً وحقداً تنبض بالموت لمن توجّه نظراتها اليه .. الشر المطلق يتجسد في هذا الشبح القادم حقاً من عمق الجحيم ، وهو عازم بكل إصرار على استكمال مخططاته في تطهير المدينة بأكملها من كل فرد من أفراد تلك العائلة .

****

الى هنا وصلت قصتنا الى نهاية الجزء الاول منها .

من هو الشبح المجرم ؟ وما هي قصته ؟ الأجابات في الجزء القادم : (عندما يصبح الانتقام عدالة .. السر يكشف)

بقلم : ضياء الفاخوري